

رضا شاه مجلوی

نَهْضَةُ اِيرانِ الْحَدِيثَةِ

اِقْلَام

محمد محمد زاده تاجی

بِدارِ الْکُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ

صدر الكتاب

المكتوب: عبد الوهاب عزّام
أستاذ الأدب الإيراني بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى — ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م

الناشر: مكتبة النهضة المصرية

رضا شاه بجلوی

نخستین آیران الحیدث

بقلم

محمد السارانی

بذار الكتب المصرية

صدر الكتاب

المكتوب عبر الوهاب عزّام
استاذ الأدب الايراني بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى — ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م

الناشر: مكتبة النهضة المصرية



حضرة صاحب الجلالة الامبراطور رضا شاه بهلوی
منشی ایران الحديثة وبعث نهضتها

الاهداء

إلى شباب الشرق . . .

. صفحة من صفحات المجد الخالد

المؤلف

اثبات مصادر الكتاب

مصادر باللغة العربية

- (١) تاريخ الطبرى
- (٢) حاضر العالم الاسلامى للاستاذ عجاج نويهض والامير شكيب أرسلان
- (٣) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم لآبى منصور عبد الله محمد بن اسماعيل الثعالبي (طبع باريز)
- (٤) تاريخ أصبهان للأصبهاني (طبع ليدين)
- (٥) التدوين فى أخبار قزوين
- (٦) سير الملوك ويسمى نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب (مخطوط)
- (٧) الشاهنامه ترجمة الفتح بن على البندارى - وأكمل ترجمتها وصححها الدكتور عبد الوهاب عزام
- (٨) تاريخ إيران لشاهين مكاريوس

مصادر باللغة الألمانية

Herbert melzig

Resa Schah, Iran Aufstieg und die Gross-Maechte.

- 2 — Fritz Hesse
Persien.
- 3 — Hermann Norden
Persien wie es ist und war.
- 4 — Paul Schmitz
Al-Islam, Weltmacht von Morgen.
- 5 — Hans Kohn
Geschichte der Nationalen Bewegungen im
Orient.
- 6 — Hans Kohn
Nationalismuss und Imperialismuss im Orient
- 7 — Max von Oppenheim
Reise von Syrien. Z. Pers. Golf.
- 8 — Alfons Gabriel
Aus den Einsamkeiten Irans.
- 9 Hans Kohn
Orient u. Okzident.
- 10 — Essad Bey
Mohammed.
- 11 — Walther Hinz: Iran, Politik und Kultur von
Cyros bis Resa Schah.

مصادر باللغة الانجليزية

- 1 — Essad-Bey, Paul and Elsa Branden*
Resa Shah.

- 2— Sir Percy Sykes
History of Persia
- 3— Sheean
The new Persia.
- 4— David Frazer
Persia and Turkey in revolt.
- 5— Wilson
Persia.
- 6— Valentine Chirol
The Occident and the Orient.
- 7— Ahsanullah
History of Moslem World.
- 8— Julius Germanus
Modern History of Islam.
- 9— Amir Ali
The Spirit of Islam.

مصادر باللغة الفرنسية

- 1— Matin—Daftary
L'Empire du lion et soleil.
- 2— Siassi Ali Akbar
La Perse au contact de l'occident.

3— Zangueneh

Le Petrole en Perse.

4— Chivestensen

Histoire legendaire des Iraniens.

5— Raymond Furon

La Perse.

6— Melia Jean

Visages Royaux d'Orient.

7— Guenon René

Orient et Occident.

فهرس الكتاب

تصدير الكتاب

مقدمة المؤلف

١ — ١ — من تاريخ إيران

الامبراطورية القديمة — الامبراطورية الإيرانية

الوسطى — آل ساسان

٥ — ٢ — إيران تحت الحكم الاسلامى

حتى نهاية السيادة المغولية

٨ — ٣ — الدولة الصفوية

١١ — ٤ — نادر شاه

١٤ — ٥ — آل قاجار

فتح على شاه — محمد شاه — ناصر الدين شاه

مظفر الدين شاه — محمد على شاه

الاتفاق الانجليزى الروسى — سلطان أحمد شاه

٣ — ٦ — الحرب العالمية

٣٤ ٧ — الاتفاق الانجليزى الايرانى

٣٦ ٨ — انقلاب ٢١ فبراير

بين موسكو السوفيتية وطهران — فرق القوزاق
الإيرانية — الضابط رضا خان — سيد ضياء الدين
معاهدة موسكو = طهران — المجلس النيابى

٥٩ ٩ — رضا خان يقضى على الفتن فى انحاء البلاد
ثورة جيلان — اضطرابات أزربيجان .

٦٩ ١٠ — بين الجمهورية والملكية

٨٧ ١١ — الجيش

٩٣ ١٢ — الشيخ خزعل
أو ثورة خوزستان

١٠٦ ١٣ — خلع آل قاجار

وتنصيب رضا خان على عرش إيران

١١٤ ١٤ — إيران الحديثة

السياسة الانشائية — الامتيازات الاجنبية —

— ك —

شركات الاحتكار — إيران وجيرانها الشرقيون
ميثاق سعد آباد — مصر وإيران

- | | |
|-----|---------------------------------|
| ١٢٨ | ١٥ — جغرافية إيران |
| ١٣٢ | ١٦ — سكان إيران |
| ١٣٨ | ١٧ — الديانة والثقافة في إيران |
| ١٤٣ | ١٨ — الحالة الاقتصادية في إيران |
| ١٦٣ | ١٩ — بحث في الشيعة |

تصدير الكتاب

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام

رئيس جماعة الأخوة الإسلامية

هذا كتاب يتضمن طرفا من تاريخ إيران وجغرافيتها واحوالها الحاضرة كتبه الفاضل الأستاذ أحمد الساداتى على ذكر المصاهرة بين الأسرتين الملكيتين ، الأسرة العلوية المصرية والبهلوية الإيرانية .

والكتاب - على صغره - يجدى كثيرا على قراء العربية ويُعد فاتحة طيبة لكتب أخرى تفصل الكلام فى تاريخ إيران ومكانتها بين الأمم عامة وصلاتها بالأمم الإسلامية خاصة .

ويزيدنا عناية بهذا الكتاب أن مؤلفه الفاضل اجتهد فى تأليفه ، وجدّ فى مراجعة كتب كثيرة واحتمل المشقة فى هذا لتحقيق مقصد من مقاصد جماعة الأخوة الإسلامية - وهو أحد أعضائها - أراد بهذا الكتاب التعريف بأمة إسلامية لها مكانتها فى ماضى الإسلام وحاضره ، وهذا مقصد من مقاصد الجماعة .

وأراد كذلك أن يشيد بهذه الصلة المباركة بين الأسرتين
الكبيرتين والامتين العظيمتين ويتخذ منها فألاً حسناً للتقريب بين
أهل السنة والشيعة ، ويجعلها فاتحة للدعوة إلى تآلف الفريقين
الذين ألف الإسلام بينهما ، وناهيك بالأخوة الإسلامية وهي
العروة الوثقى التي لا انفصام لها وهي حبل الله المتين الذي قال
فيه القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .
ومن أجل هذا المقصد كتب العالم الفاضل محمد حسن
الأعظمي مقالة عن الشيعة وأهل السنة . والأعظمي هندی
عاش بين تنازع المذاهب في الهند فامتلاً قلبه غماً ونفسه المأ
لتفرق المسلمين ، فهو ساع ليله ونهاره في الدعوة إلى الأخوة
الإسلامية وهو نشاط لا يفتقر في « جماعة الأخوة الإسلامية » .
ولا تتسع هذه الكلمة لمعالجة هذا الموضوع فحسبي أن أقول
إن الإسلام دين توحيد وأخوة فمن أحدث شقاقاً بين المسلمين
فقد نقض الإسلام من قواعده . وإن المسلمين جميعاً تجمعهم

قواعد الاسلام ويؤلف بينهم كتاب الله وسنة رسوله فلا يفرق
بينهم مذهب ولا رأى إلا أن يكون هذا رأى وذلك المذهب أمكن
في نفوسهم وأحب اليهم من الكتاب والسنة . فان رأى المسلمون
أن تفضيل فلان على فلان أعظم من أخوة الاسلام وأجل من
هدى القرآن والسنة فليتفرقوا وعليهم اثم ما يفعلون .

إن أعظم الناس جناية على الإسلام والمسلمون من فرق
بين أتباع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كل
جريمة في الإسلام تغتفر إلا هذه الجريمة التي تحارب الإسلام
في المقصد الذي جاء من أجله ؛ وإن المسلم الذي يقاتل المسلم
أويعاديه لخلاف في رأى قد خرج من الإسلام عمداً أو جهلاً
« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »

وبعد فأشكر المؤلف الفاضل وأحمد له اجتهاده وحسن نيته ،
وأرجو أن يكون كتابه فاتحة حسنة لتعريف الأمم الإسلامية
بعضها ببعض ، وجمعهم على كلمة التوحيد والعمل الصالح . والله
يوفقه وإيانا للعمل الخالص ابتغاء مرضاته .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

في هذا الكتاب تاريخ نهضة من أروع ما عرف الشرق بل العالم الأجمع ، وحياة أمة سمت بماضيها ونهضت في حاضرها وأخذت تعد العدة لسعادة مستقبلها . وتطالعك بين سطورهِ صورة خالدة من صور الكفاح بين الشرق والغرب ، بين الشرق الناهض ذى الحضارة الخالدة التى لا تزال الإنسانية تسير على ضوء منارها ، وبين الغرب المستعمر ، الذى ان اختلفت حكوماته فيما بينها ازاء الشرق ، فهو اختلف على اقتسام الفريسة الشرقية ونصيب كل منها من هذه الفريسة . وما الحرب العظمى ونتائجها ببعيدة عن الأذهان ، فلم يكن نصيب أنصار الحلفاء من أبناء الشرق بأفضل من مصير أعدائهم ؛ إذ ما كاد النصر يتم لهم حتى قابوا للشرقيين ظهر المجن ، فلم يكتفوا بأن

نكثوا عهودهم وأفلتوا من وعودهم ، بل تنكروا لهم أشد
تنكر عرفته الانسانية .

ومهما يكن من الأمر ، فقد جاء كل ذلك على الشرق
بالحير وفاض على أبنائه بالنور . إذ قامت كل أمة تطالب بحقه
ونهض كل شعب يذود عن كيانه وكرامته .

وقيض الله لإيران رضا شاه بهلوى ابنًا بارًا وزعيمًا مخلصا
وراعيًا وفيا . ولم تكن مهمته في الجهاد لتستبين عن بواد
النجاح في المستقبل القريب ، إذ كان عليه أن يستخلص حقوق
بلاده وحياة أمته من بين براثن غواين من غيلان الاستعمار
الأوروبي كادا يفتسمان بلاده بينهما اقتساما أبديا ، ولم يكن ذلك
الاستخلاص بالأمر اليسير ، هذا دون أن يغفل أن يطهر البلاد
من عناصر الفساد والفوضى التي كانت تهيب السبيل لسيطرة
الأجانب عليها . بيد أنه من كانت الحرية غايته والتضحية رايته
والوطنية قبلته ، فهو شعلة للحق لن تحبوا أو تطفأ ، وسيف ماض
مشهر لا يصدأ ولا يكسر .

إن التاريخ مرآة الماضى ومناارة الحاضر ، وهو لن يكون
مرآة أجيد صقلها حتى تتضح فيها صورة الماضى ، ومناارة يشع
نورها برفا يستضىء به الحاضر ، إلا إذا قام على ذكر الحقائق
الكاملة المستقاة من أوثق المصادر ، لا يتسرب إليها شك
ولا تشوبها ريبة .

هذا ما آمل أن أكون قد وفقت له فى هذا الكتاب ،
والله ولى التوفيق .

أحمد محمود السادانى

القاهرة فى

جماد ثانى سنة ١٣٥٨

أغسطس سنة ١٩٣٩

من تاريخ ايران

بلاد ايران مثل غيرها من البلاد ذات الماضى التاريخى
لبعيد ، لها سلسلة من التطورات والاتجاهات التاريخية المتعاقبة .
ولعل ايران هى البلاد الوحيدة التى حافظت على تقاليدھا الأولى
التي نشأت عليها منذ القدم ، وما لبثت قائمة بها فى مظاهر حياتها
ونواحيها الثقافية إلى اليوم ، تلك التقاليد التى انعدمت قريناتها
فى البلاد الأخرى وأسدل عليها ستار النسيان من أمد بعيد ،
حتى بات لزاما على من يريد أن يلم بالثقافة القائمة فى ايران
اليوم أن يرجع فى جزء غير قليل إلى تاريخ البلاد القديم .

الامبراطورية القديمة : إن أظهر ماعرفه العالم بين الأسر

الحاكمة فى ايران القديمة ومن الدول البعيدة العهد ، وهى الكيانية
والسلوقية والأرزقية ، هو قيام امبراطورية الداروات الكيانية
(حوالى عام ٦٠٠ ق . م) أول امبراطورية عالمية إيرانية

عرفها التاريخ وكانت تمتد من أواسط آسيا حتى حدود أوروبا
ومن حوض البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الهندي . وإن
نحار إيران وإجلالها للبطولة القومية الإيرانية التي كان يمثلها
كورش وقبيلز ودارا أوائل ملوك السكيانيين هي التي حدثت
بأباطرة إيران أن يتخذوا لأنفسهم إلى اليوم لقب ملك الملوك
(شاهنشاه) . ويرمى هذا اللقب في مغزاه التاريخي القديم إلى
(ملك كافة البلاد المتحضرة) . وكان قبيلز بن كورش مؤسس
تلك الأسرة أول امبراطور إيراني عرفه العالم غازيا فاتحا ، وخلفه
دارا ، وكان آخر ملوك تلك الدولة اكزرسيس الذي
انهزم عند محاولته فتح بلاد اليونان . وكان الفرس يمتدحون
الاسكندر والسلاوقيين الاغريق والأرزقيين البارتيين حكما غرباء
على الرغم مما قاموا به وبذلوا من جهود في خدمة البلاد .
ذلك إلى أن سيادة هؤلاء الحكام كانت الوساطة في نقل الثقافة
الاغريقية بواسطة إيران حتى حدود الامبراطورية الصينية القديمة .
فكانت المملكة الإيرانية هي الوسيلة الثقافية بين ثقافة البحر
الأبيض المتوسط وثقافة شرق آسيا .

الامبراطورية الايرانية الوسطى : وجاء أردشير الساساني
فقتضى على دولة البارتين الحاكمة في إيران بعد أن حكم ذلك
البيت وما سبقه من البيوت الأجنبية الأخرى الاغريقية أمدا
طويلا . وحكم بيت الساسانيين من عام ٢٢٤ إلى عام ٦٥١ م
وأعاد بناء الامبراطورية الايرانية وسالف مجدها . وازدهرت
في عهد هذا البيت لأول مرة في تاريخ إيران الديانة القومية
الزردشت (عبادة النار) وقوى نفوذ كهنتها . وروج
هؤلاء الكهنة القول بأن ملوك ساسان هم من بعث فيهم الإله
اورمزده ، فكان ذلك العهد بداية التقاليد الخاصة بالبيت المالك
والديانة والرابطة التي تقوم بينهما . كذلك نص هؤلاء الكهنة
على شرط تولية العرش لآل ساسان فقط ، ووضعوا الملك في
مصاف القديسين . وامتدت تعاليم الزردشت الدينية حتى
نفذت من بلاد ايران صوب الغرب وتوغات في آسيا الصغرى ،
ولم يوقف من انتشارها إلا اصطدامها بالمسيحية .

واشتبك أردشير مؤسس تلك الأسرة مع الرومان في مواقع
عديدة كتب له النصر فيها وضم إلى بلاده ارمينيا .

وتطورت في عهد آل ساسان الكتابة الفارسية وعُرف
في ذلك العهد ، الخط البهلوي الذي كتبت به جميع الكتب
التي صُنفت قبل فتح العرب . أما الكتابة السابقة لذلك فهي
التي كتبت بها الكتب المقدسة وأهمها (الزندا وستا) . ودخل
الملوك الساسانيون في حروب عديدة بعد ذلك مع قياصرة الروم
وأجلوهم عن جزء كبير من آسيا الصغرى وكل بلاد الشام ومصر .
وختمت تلك المواقع بنصرة قياصرة الروم واستعادتهم لما فقدوه .
ونزلت في ذلك الآية الكريمة « غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ
وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ
قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ » صدق الله العظيم .

وجاءت الجيوش الإسلامية ففقت على تلك الدولة الساسانية
عام سنة ٦٣٧ ميلادية على يد القائد العربي الجليل سعد بن
أبي وقاص في القادسية ، واستولت على عرش آخر القياصرة
الساسانين يزديجرد بعد موقعة نهاوند . وفر يزديجرد الى مرو
حيث قتل عام ٦٥١ م .

إيران تحت الحكم الاسلامى

حتى نهاية السيادة المغولية

فتح المسلمون بلاد إيران فقصوا على الديانة القومية القائمة هناك وهى عبادة النار ، فكان فى هذا قضاءً غير يسير على الثقافة القومية التى تعهد بها الملوك الساسانيون . ولم يمض قرنان على الفتح الاسلامى حتى كادت الديانة المجوسية تختفى تمام الاختفاء من بلاد إيران ، فلم يتيسر إلا لعدد قليل من رجال كهنوتها الهرب إلى بلاد الهند . وأثن قامت تعاليم زاردشت^(١) إلى الآن فى بعض أنحاء الهند فانها قد فقدت كل نفوذ لها ولم يعد لها أى أمل فى استعادة شىء من سالف مجدها . ودرجت لغة الكتب المقدسة الفارسية القديمة فى عالم النسيان باختفاء الديانة

(١) هو صاحب عقيدة الزاردشت المجوسية ، وقيل إنه كان رجلاً حكماً يدعو إلى عبادة الله فجاء الكهنة من بعده وحرّفوا تعاليمه إلى المجوسية .

المجوسية ، واحتلت مكانها اللغة العربية في المدائن حتى لم يبق محافظا على الأولى إلاّ بعض قبائل الرحل . وأصبحت تلك الامبراطورية العتيدة بعد الفتح الاسلامي وقد فقدت استقلالها أشبه بضيفة من ضياع الخلفاء قرونا طويلة . وتعاقبت عليها بعد ذلك دول المغول والأتراك فلبثت قرونا أخرى عدة ترزح تحت الحكم الأجنبي ، ونفذت تلك الشعوب الدخيلة إلى الأقاليم الإيرانية الخالصة واستقر أفرادها بها وامتزجوا بأبنائها .

ونشأ في بلاد إيران مذهب الشيعة ، وما لبث الحكام الذين كان الخليفة في بغداد يرسلهم لرد أهل البلاد إلى مذهب الخليفة أن كانوا ينضمون إلى أبناء البلاد في العمل على انتشار المذهب الشيعي وتدعيم مراكزهم وتحصينها بذلك .

لم تسكتسب الثقافة الإيرانية كثيرا من اختلاطها بالثقافة العربية إذ كان الغنم فيها للثانية والربح لها وفيرا . وجاءت جيوش المغول في غزواتها المتعددة تحت امرة جنكيز خان وهولاكو خان فسطوا على معظم ما كان مدخرا من النفائس

والكنوز في بلاد إيران وتركوها صحراء جرداء بعد ما أتت جنودهم وخیولهم على كل شيء فيها . ولا نكون مباغين إذا قلنا إن تلك البلاد وغيرها من التي أصابها وباء المغول لم تسترد تماما حتى يومنا هذا ما سلبه المغول منها . ولم تقف نكبات المغول وجنایاتهم على الشرق عند حد حتى القرن الرابع عشر الميلادی الذي اعتنق فيه جميع المغول الديانة الإسلامية .

أسس تیمورلنك أسرة حاكمة في إيران لبثت تحكمها زهاء نصف قرن ، وأتم تقو على توطيد السلام في هذه البلاد أكثر من هذه المدة إذ انتزعت قبائل التركمان تحت إمرة أوزون حسن الحكم منها . وحكم الأخيرون إيران مدة قصيرة حتى استعاد العرش منهم أسرة إيرانية من جديد وهي أسرة الصفويين .

الدولة الصفوية

أسس هذه الدولة شاه إسماعيل وهو يرجع بنسبه إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، كما كانت تجرى في عروقه دماء الساسانيين عن طريق إحدى بنات يزدجرد الثالث . وقوى ساعد تلك الأسرة في الاستيلاء على عرش إيران زواج أحد أفرادها من إحدى بنات آخر ملوك التركمان أوزون حسن . وكان الملك الصفوي يُعتبر بحكم انحداره من نسل الإمام علي ملك البلاد وإمام أئمة الشيعة بها . وفتح الشاه إسماعيل بلاد خراسان وطارد الأذربكيين وقتل زعيمهم ، على أن سوء الطالع ساق إليه السلطان سليم الأول الفاتح العثماني الشهير فلم يقو على مقاومته بالرغم من استبسال الجنود الإيرانية ودفاعها المجيد ، فانهزم الجيش الإيراني عند چالدران واحتلت الجنود العثمانية جميع ولايات إيران الغربية ولبثت تحت الحكم العثماني أمدا طويلا . لبث الملوك الصفويون في عراك مع العثمانيين والأزبك

والتركان والأفغان حتى جاء الشاه عباس الكبير معاصر الملكة
اليزابث ملكة إنجلترا ، وأكبر شاهات الأسرة الصفوية إطلاقاً ،
فكسر الأzbek وطرد العثمانيين واسترد جميع الولايات الغربية
التي كانت في قبضتهم ، وأعاد تنظيم سير القوافل وكفل
طمانينتها وسلامة الطرق والمحافظة عليها ، وأقام الجسور وأعاد للتجارة
ازدهارها ونشاطها . وكان أكبر ما قام به هو تجديد مدينة
أصفهان التي تعتبر بمساجدها وقصورها وجسورها وأسوارها أروع
تحفة من تحف الفن الإيراني . واستعادت بلاد إيران تحت
حكم الشاه عباس سالف مجدها وأوج عظمتها . ومات عام
١٦٢٩ م ذلك الرجل الذي تدين له النهضة الفنية والثقافية في
إيران بازدهارها . ولعلنا لانكون مبالغين إذا قلنا إنه إذا
كان ثمة فضل في انتشار الشعر الإيراني وتناقل الناس له
وترديدهم أياه إلى الآن فإن ذلك يجب أن ينسب إلى الشاه
عباس الكبير . وبوفاته أخذ نجم الدولة الصفوية في الأفول ،
إذ تعاقب على عرش إيران ملوك ضعاف فعادت القبائل الرُّحَل
تعلن العصيان من جديد ، وانتشرت الفتن والثورات في داخلية

البلاد حتى لم يعد للشاه من السلطة إلا اسمها . وغزى الافغان بلاد
إيران أوائل القرن الثامن عشر واستولت قبيلة غيازاى برعامة
أميرهم محمود على مقاليد السلطة فى البلاد ، إذ لم يقو الصفويون
الضعفاء على أن يصمدوا فى وجهه .

ولأول مرة فى تاريخ إيران وجهت دولة أوروبية نظرها نحو
تلك البلاد ، إذ انتهر بطرس الأكبر فرصة ضعف إيران فسلبها
عام ١٧٣٢ الولايات الشمالية وجيلان ومازندران وجورجيا
الایرانية ، وإن لم يستطع الاحتفاظ بها طويلا . وتغلب الأفغان على
الأتراك فى مواقع عديدة ولكنهم لم يفلحوا فى استرداد جميع
الأراضى التى كان الأتراك قد وضعوا أيديهم عليها . واضطر آخر
ملوك الصفويين تحت ضغط الأفغان أن ينزح إلى شمالى إيران
واقليم خراسان ومازنداران حيث نشأ من سلالته وسلالة تركية
بيت القاجاريين الذى لعب دوراً هاماً فى تاريخ إيران الحديث .
وظهر فى الفترة التى سبقت خلافة آل قاجار للصفويين على عرش
إيران بطل حربى مغوار من الحق كله أن يخلع عليه لقب
نابليون الشرق ، ذلك هو نادر شاه .

نادر شاه

لم ينحدر نادر شاه من سلالة ملكية وإنما كان أحد أفراد الشعب البارزين . ووصل بشجاعته وإقدامه إلى زعامة قبائل الافشار الرُّحَل .

وتقدم نادرشاه عام ١٧٣٠ م إلى الشاه تاهماسب والد الشاه عباس الأكبر وعرض خدمته عليه . فقاد الجيوش الإيرانية في مطارداتها للأفغان واسترد منهم خراسان ومشهد وحيرات ، وقضى عليهم قضاء تاما عند ديجان وأصفهان فلم ينج منهم إلا أفراد قلائل ، ثم عرج على الأقاليم التي كانت يحتلها العثمانيون فأجلاهم عنها . وبينما هو يسير من نصر إلى نصر ، كان الشاه تاهماسب يسير بجيش آخر جديد لملاقاة الأفغان الذين هزموه شر هزيمة . واستغلَّ نادر شاه هذا الظرف لا كراه الشاه على التنازل عن الملك إلى ابنه عباس وأقام نادر شاه نفسه وصيا على الشاه الطفل . ومات عباس بن تاهماسب ، فنصب نادرشاه

نفسه شاهها على إيران عام ١٧٣٦ . واستتب لنادرشاه الأمر في البلاد وقضى على جميع ثوراتها الداخلية وأخضع جميع قبائلها . ثم سار بعد ذلك إلى ملاقاته العثمانيين ، فاستولى على بغداد وتغليس وأجلاهم عن أراضي الجزيرة واستعاد كردستان وجورجيا وضمهما إلى بلاد إيران . ثم اضطرت روسيا بعد مرور عام على ما سبق من الحوادث إلى تعديل معاهدة رشت التي عقدت سنة ١٧٣٢ والتنازل عن حقوقها في إقليمي جيلاان ومازندران . ولما استرد جميع الولايات الغربية التي فقدتها البلاد في عهد الصفويين ولى وجهه شطر بلاد الأفغان فاستولى على قندهار وسار إلى بلاد الهند غازيا فعبث مضيق خيبر بعد استيلائه على كابل واستولى على دهلي واستحوذ فيها على عرش الطاروس الشهير الخاص بملوك المغول ونقله إلى إيران ، ثم توغل بجيوشه بعد ذلك في أواسط آسيا ففتح بخارى وخيوا وكسر قبائل التركمان التي لبثت أمداً طويلاً تغير على شمال بلاد إيران . وبينما كان يسير في إخضاعه لبلاد جورجيا إذ وافته الأخبار بإغارة العثمانيين من

جديد على جنوب إيران فأسرع إلى لقائهم عند ديار بكر وأفنى
جيشهم واضطروهم إلى عقد الصلح عام ١٧٤٦ م والتنازل نهائياً
عن المطالبة بالولايات التي كانت تحت أيديهم . على أن نادرشاه
انقلب في آخر أيامه إلى جبار طاغية محب لسفك الدماء .
ولم يمض عام على هزيمته الأتراك للمرة الثالثة حتى اغتاله
أحد رجال حرسه عام ١٧٤٧ م وهو في طريقه للقضاء على فتنة
شبّت في خراسان ، فقضى عليه .

آل قاجار

كان نبأ موت نادرشاه هو أكبر بشرى ترقبها بفارغ الصبر الأقطار التي أخضعها وضمها لبلاده ، فما لبث الأفغان أن أعلنوا استقلالهم على أثر وصول هذا النبأ إليهم ، كما استعادت ولايات أواسط آسيا كذلك استقلالها ، بل وصلت الحالة إلى أن قامت في بلاد إيران نفسها مشاحنات داخلية قوية نتيجة تنافس الكثيرين على العرش . فاستقل بولاية خراسان أحد أقارب نادرشاه المسمى شاه رخ ، في حين استقل بشمال البلاد أمير قاجارى يدعى محمد حسين خان وأفلح في المحافظة عليها وحمايتها ، ووضع زعيم بختياري يده على جنوب البلاد بعد أن فتح أصفهان باسم أمير صفوى ، في حين استولى كريم خان زند على السلطة في الجزء الجنوبي الشرقى من البلاد . وانتهى أمر تلك الإمارات كلها بتوفيق الزعيم القاجارى آقا محمد خان فى الاستيلاء على إقليم السند وجورجيا وخراسان ، ثم أعقبه الشاه محمد

القاجارى ، أول قاجارى تمكّن فى مدى ثلاثة أعوام من إخضاع جميع الولايات الايرانية لسلطانه ، ولكن الأمر انتهى بقتله خلفه ابن شقيقه فى تثبيت أقدام أسرة قاجار بايران وموالاتها لها .

فتح على شاه (١٧٩٨ - ١٨٣٤) : ربما كان عصر حكم

هذا الشاه من أهم العصور البارزة فى تاريخ بلاد إيران الحديث إذ يلعب فيه النفوذ الأجنبى دوراً كبيراً ظاهراً لأول مرة فى تاريخ بلاد إيران ، ثم لا ينقطع هذا الدور بل يظل ممتدا قائم إلى عصرنا هذا ممثلاً فى انجلترا والروسيا .

إن ما دفع بانجلترا إلى أن تحاول بسط نفوذها على إيران هو خوفها من الخطر الفرنسى الروسى بالنفاذ إلى الهند وتسيير جنودها إليها . لهذا أرسلت انجلترا عام ١٨٠٠ م ممثلاً مـكـولم إلى طهران كي يحاول عقد معاهدة واتفاق تجارى مع الشاه ، ولكنه ترك طهران قبل أن يتم ذلك الاتفاق . وأراد نابليون أن يستغل هذا الموقف فانهز الفرنسيون فرصة غياب الممثل البريطانى سنة ١٨٠٥ وعملوا على اشتباك بلاد إيران فى حرب مع روسيا وتحريضها عليها . وفيما

كان الشاه يفكر في عروض فرنسا إذا بفرنسا تعقد الصلح مع
الروسيا ، وبذا لم يجد الشاه أمامه إلا الجنود الروسية متفرغة له .
إزاء ذلك عقد الشاه معاهدة حربية مع الانجليز سنة ١٨١٤ ،
قضت على كل أمل في اتفاق بلاد إيران مع الممالك المناوئة
لإنجلترا وضمنت استقرار إيران في هدوء وسكينة أعواما .
وأخذت إنجلترا على عاتقها ارسال بعثة لإعادة تنظيم الجيش
الإيراني وتقوية مركز الشاه السياسي حيال جيرانه . وأصاب
هذه السياسة توفيقا كبيرا . وأفلح فتح على شاه بعد ذلك في
إعادة بلاد الأفغان تحت الراية الإيرانية كما اضطر تركيا عام
١٨٢٣ إلى عقد معاهدة الصلح في أرضروم وإلى إعادة حدود
إيران الغربية إلى موضع يقرب من موضعها الحال . وحاول
الشاه أن يسترد إقليم جورجيا فاضطر إلى الدخول عام ١٨٢٨
في حرب مع روسيا خرج الجيش الإيراني منها مدحورا .
فما اضطر الشاه أن يعقد مع روسيا معاهدة تركمانجاي وأن
يتنازل لها عن إقليمى جورجيا وأرمينيا .

خرجت روسيا من هذه المعاهدة بحق محاكمة رعاياها في إيران أمام المحاكم الروسية ، دون أن يكسب ذلك الرعايا الإيرانيين في روسيا مثل هذا الحق ، فجاءت هذه المعاهدة مثبتة للامتيازات الأجنبية في بلاد إيران ، وتمسكت بها جميع الدول الأوروبية في تحالفها واتفاقاتها مع إيران مما دعى انجلترا إلى إعادة النظر في معاهدة عام ١٨١٤ . وجرّ فشل فتح على شاه في حربه مع روسيا إلى تفاؤل النفوذ الروسى في إيران وتوطيد دعائه بها .

محمد شاه (١٨٣٥ — ١٨٤٨) : يدين محمد شاه حفيد فتح

على شاه بارتقائه العرش إلى مهاجمته لانجلترا وموقفه العدائى منها وإن لم تسرّ حكومته على اتباع المشورة الروسية إلا في أحوال قايلة . وسار محمد شاه على رأس جيشه إلى التركمان في خراسان ومنها إلى بلاد الأفغان ، إذ كان أمير الأفغان قد اعتدى على ولاية سيستان واغتصبها ، وكانت من أملاك إيران ، فلم يكتف محمد شاه باستردادها وتأديب الأفغان بل أراد أن يضم إليه قندهار وغازنى

(٢)

يوصف أنها كانت من أملاك الإمبراطورية الصفوية الإيرانية .
وتوسّطت إنجلترا عام ١٨٣٦ — ٣٧ في انتهاء الحرب بين إيران
وأفغانستان وحالت دون وصول الشاه إلى غرضه واضطرته إلى
تعيين حدود بلاده عند المراكز التي كانت عليها في عصر أول
ملوك آل قاجار . إذ كانت إنجلترا ترمى من وراء ذلك إلى الحيلولة
دون اقتراب أي خطر أوقوة يكون من شأنها تقريب النفوذ
الروسي إلى حدود الهند . وحاولت إنجلترا أن ترغم إيران على
إنتهازل عن قطعة من الأرض جديدة لأفغانستان ، فكان
ذلك في عام ١٨٣٨ بداية توتر العلاقات بين إيران وإنجلترا .
وعقدت إنجلترا وروسيا بينهما اتفاقا دبلوماسيا أرصت بعده روسيا
سفيرا لها إلى أفغانستان وأطاعت إنجلترا في الخفاء يد النفوذ
الروسي في بلاد إيران بنمية الوصول إلى اقسام قواتهما المناطق
النفوذ التي يرغبون فيها بإيران وتحميدها . وعاد التفاهم من
جديد بين إيران وإنجلترا عام ١٨٤١ ، فأوقنت الدسائس الانجليزية
التي كانت تحاك في شرق إيران عند حدها .

ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) : ما كاد الشاه ناصر

الدين يخاف أباه محمد شاه على عرش إيران حتى اتحد السفيران البريطاني والروسي في العمل معاً على شد أزر السيادة القاجارية في البلاد .
على أن النفوذ الروسي بقي بالرغم من هذا الائتلاف متفوقا على نظيره الانجليزي حتى تمكن في النهاية من بعث الاختلاف بين إيران وانجلترا بخصوص المسألة الأفغانية من جديد . وجاءت حرب القرم التي اتحدت فيها انجلترا مع تركيا ضد روسيا ، مضعفة للنفوذ الانجليزي في طهران ، وانتهزت روسيا فرصة قيام النزاع على العرش في بلاد الأفغان فهدت لاطلاق يد إيران في أفغانستان وأتاحت الفرصة لها للتدخل في شئونها من جديد ، كما أوعزت للشاه أن يعمل على إثارة القبائل الهندية وتحريضها على الثورة في وجه الانجليز وطلب الاستقلال وأعدا إياهم بالاسراع لنجدتهم على رأس جيوشه الجرارة ، وكانت روسيا ترمى بذلك إلى غسل ما لحقها من الانجليز في حرب القرم . ولما رأى الانجليز تقدم الجيوش الإيرانية نحو حدود الهند عبر بلاد الأفغان وظهور بوادر

الثورة في الهند ، أرسلوا ببوارجهم الحربية إلى الخليج الفارسي سنة ١٨٥٦ فاحتلت بندر أبي شهر وأسرت محافظه وأرسلته إلى الهند وأنزلته إلى البر في موكب حافل وحجبتة عن أعين الناس موهمة الناس أن الأسير انما هو الشاه نفسه . وروج الانجليز هذه الإشاعة بقوة فكان لها تأثير كبير في إخماد الروح الثورية في نفوس الهنود . وانتهى الأمر بين إيران وانجلترا بتوسط نابليون الثالث امبراطور فرنسا بينهما وعقد صلح باريز عام ١٨٦٧ . ولم تقض انجلترا على الثورة نهائيا في الهند إلا عام ١٨٧٠ ، فشرعت بعد ذلك في تحديد التخوم بين بلاد الافغان وبلاد إيران . وبدأت بهذه المهمة بعثة جولد سميث ، وتم التعيين النهائي للحدود على أيدي بعثة ما كاهون ١٩٠٣ — ١٩٠٦ .

بدأت العلاقات بين الانجليز والإيرانيين في التحسن بعد ذلك ، كما أخذت إيران تفقد نفوذها في ولايات أواسط آسيا المتاخمة لأملاكها بسبب توغل الروس فيها وفتحهم لها . واضطرت الروسية بلاد إيران إلى تعيين الحدود بينهما من جديد وقضت

الأولى على كل نفوذ الأخيرة في ولايات أواسط آسيا . واستغل
الإنجليز ضعف بلاد إيران وطالبوها بتعين الحدود بين بلوخستان
الإيرانية وبلوخستان الانجليزية .

لم يكن ماناله الروس والانجليز إلا نتيجة انشغال الشاه
بأحوال البلاد الداخلية بسبب قيام حركة بابي بحياس « البهائية »
واشتداد نفوذ هذا المذهب وانصراف الشاه إلى مكافحته دون
النظر في شئون بلاده الخارجية .

وجه الشاه همه بعد فراغه من حوادث بابي بحياس إلى
تنظيم جيشه على النمط الأوروبي فاستدعى لذلك ضباطا فرنسيين
وإيطاليين ونمساويين وروسين . كما فتح الباب للبنوك الأوروبية ،
فتأسس في عام ١٨٨٩ م البنك الانجليزي الامبراطوري لبلاد
إيران ، ثم بنك الخصم الروسي عام ١٨٩٠ . وقام الانجليز
بعملية مدّ جملة خطوط تاغرافية حصاوا على امتيازاتها ، كما
نال الروس امتياز مصايد الأسماك في بحر قزوين .

ورأى الشاه في سبيل تقدم البلاد وتقوية إدارتها إنشاء

مجلس نيابى ، على أن هذه الخطة كان نصيبها مثل نصيب
مثيلتها عام ١٨٧٦ فى تركيا ، إذ فشلت وعاد الحكم إلى طريقة
الدكتاتورية .

وقام هذا الشاه فى أواخر سنى حكمه بعدة رحلات إلى
أوروبا وزار أهم ممالكها واستقبل فى كل بلاط بأروع
ضروب الحفاوة والتبجيل . واضطره إسرافه فى هذه الرحلات
وتزعزع الحالة المالية فى البلاد إلى عقد عدة قروض فى روسيا
وانجلترا . وغنى عن البيان أن تلك القروض قوت من نفوذ
البنوك الأجنبية فى إيران وثبتت دعائمها . وكاد التزعزع المالى
الذى أصاب حكم ناصر شاه مدة طويلة أن يسلب إيران استقلالها
فى السنين العشرة التالية لحكمه . ولبت ذلك العسر يهدد كيائها
أمدا طويلا ، ويزيد فى تقوية النفوذ الأجنبى واستبداد
الأجانب بمرافق البلاد . وقتل ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ فى
السنة الحسین من حكمه إذ اغتاله فوضى من تلاميذ الزعيم
الديموقراطى كمال الدين الذى كان يتزعم حركة ترمى إلى منح

إيران الدستور ، فكان نصيبه أن نفاه الشاه ناصر الدين
من البلاد .

مظفر الدين شاه (١٨٩٦ — ١٩٠٦) : كان مظفر الدين

شاه خليفة الشاه ناصر الدين رجلا ضعيفا مريضا لم يتيسر له إنقاذ
مركز البلاد الاقصادى . واضطره سوء الحالة الاقتصادية واستمرارها
إلى عقد قرض من إنجلترا عام ١٨٩٨ ، على أنه كان موفقا كل
التوفيق فى عهده إلى خبراء بلجيكين بتنظيم جمارك البلاد ، إذ
نجح هؤلاء الخبراء فى مهمتهم نجاحا باهرا فى إعادة تنظيم الجمارك
الإيرانية فأصبح إيرادها يكون ركنا كبيرا فى ميزانية الدولة .
وجاء هذا التنظيم قاضيا على المعاهدات التجارية التى تعقد مع
الدول الأجنبية ولا تتمشى مع صالح البلاد . وعقدت روسيا على
ضوء لوائح الجمارك الجديدة معاهدة تجارية مع بلاد إيران عام ١٩٠١ ،
وحدت حدودها إنجلترا عام ١٩٠٣ . وعقد الشاه مظفر الدين مع
روسيا قرضا كبيرا بضمان الجمارك وانتهز هذه الفرصة وقرر السفر
إلى أوروبا للعلاج . وسافر الشاه إلى أوروبا بقصد العلاج عام ١٩٠٢

مرة ثانية ، وقصد إليها أيضا مرة ثالثة عام ١٩٠٥ ، ولكن ذلك لم يفده صحيا أو يأتيه بالشفاء المنشود . وأظهرت حكومة الشاه مظفر الدين ضجرها من اشتداد النفوذين الروسى والانجليزى فى طهران ، إذ عمل الروس والانجليز على تثبيت نفوذهما بارغام الحكومة على منحهما امتيازات اقتصادية جديدة . وأتيحت الفرصة للحكومة الإيرانية عام ١٩٠٤ — ١٩٠٥ بانكسار الروس فى الحرب اليابانية الروسية فتشجع الايرانيون وقاموا يطالبون بمنح بلادهم دستورا يمكن للقوة القومية أن تقف فى سبيل ما يُرغم الروسيون الشاه على قبوله . وأصاب تلك الحركة التى بادرت انجلترا إلى تأييدها وتعزيدها نجاحا كبيرا عام ١٩٠٦ حتى اضطر الشاه إلى منح البلاد الدستور فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٦ . ودعى الشاه الهيئة الدستورية الممثلة للبلاد الانعقاد فى اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، وعاجلته المنية بعد انقضاء ثلاثة أشهر من ذلك الحادث .

محمد على شاه (١٩٠٦ — ١٩٠٩) : خاف الشاه مظفر

الدين ، الشاه محمد على على عرش البلاد ، وقد بيت النية على هدم ما قام به أبوه في شأن الدستور على الرغم من تظاهره عند بداية تولي الملك بحب العمل بالدستور ووعد به بذلك . واضطر تحت ضغط حركة ثورية إلى دعوة البرلمان الجديد في ديسمبر سنة ١٩٠٧ . وأفلح النفوذ الروسي ، وكان للروس في طهران فرقة متميزة من الجنود القوازي ، جنودها إيرانيون وضباطها جميعا من الروسيين ، في حل البرلمان في فبراير عام ١٩٠٨ . واقترح الروسيون تعيين أربعين مستشارا بدلا من المجلس المنتخب فكانت نتيجة ذلك أن قامت الثورة في تبريز وكتبت الغلبة فيها للثوار ضد الشاه إذ انضمت إليها الفرق المربطة في الجنوب وقبائل البختيارية وخلعوا محافظ أصفهان وساروا إلى طهران . فتحت تلك الفرق طهران في ١٣ يوليو سنة ١٩٠٩ وجردوا فرقة القوازي التي كانت تحرس الشاه من سلاحها ، والتجأ الشاه نفسه إلى السفارة الروسية فكان ذلك إيذانا بتنازل الشاه عن العرش . واجتمع الزعماء الوطنيون عقب هذا الحادث وانتخبوا سلطان أحمد ابن

الشاه محمد على ، شاهها للبلاد وأقاموا كبير أسرة قاجار الأمير
أسد الملك وصيا عليه نظرا لصغر سنه إذ كان لا يتجاوز ثلاثة
عشر عاما . وغادر الشاه محمد على المخلوع البلاد في شهر سبتمبر
من العام نفسه ، وحاول أن يسترد عرشه مرتين بمساعدة الروس
وتعصيدهم ولكنه لم يفلح .

الاتفاق الانجليزى الروسى فى عام ١٩٠٧ :

كانت من الأمنى التى تجيش بصدر الساسة البريطانيين عقد
اتفاق مع روسيا بخصوص المسألة الإيرانية وتنازع النفوذ بين
الروسى والانجليزى فيها ، وانتهزت الحكومة البريطانية فرصة
ضعف الشاه مظفر الدين وخليفته محمد على شاه فبذلت جهدها
لسرعة إبرام هذا الاتفاق . وكان هذا الاتفاق يرمى إلى تقسيم
بلاد إيران إلى منطقتى نفوذ تجارى : المنطقة الشمالية وكانت من
نصيب روسيا والمنطقة الجنوبية وهى الواقعة على حدود بلوخستان
الانجليزية وكانت من نصيب انجلترا .

اتفق الطرفان على جعل المنطقة الجنوبية الغربية منطقة حياد .

وبقى هذا التقسيم سرىا بين الحكومتين الروسية والانجليزية واستترا فى الظاهر تحت اسم الاتفاق الروسى البريطانى لعدم التدخل فى شئون بلاد إيران الداخلية . على أن ذلك الاتفاق لم يأت بما كان مأمولا فيه بين الطرفين إذ لم يوقف تنافسهما فى طهران ، بل اشتد هذا التنافس عن ذى قبل . وأيقظ هذا التنافس الروح القومية فى البلاد للتخلص من النفوذ الأجنبى والقضاء عايه فى البلاد كلها . واعترفت الحكومة الألمانية بكل أسف بحقيقة الاتفاق الانجليزى الروسى عام ١٩١١ . كما أرغمت الحكومتان الروسية والبريطانية ، حكومة الشاه على الاعتراف بحقيقة هذا الاتفاق عام ١٩١٢ . ولم تتخلص بلاد إيران من هذا الاتفاق إلا فى فبراير سنة ١٩١٨ عند ما أعلنت حكومة السوفيت نقضها لجميع الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت مع حكومات غير حكومة السكومنترن .

سلطان محمد شاه (١٩٠٩ — ١٩٢٥) : أمل الوطنىون الايرانىون أن يتوصلوا بواسطة الدستور إلى الحد من النفوذىن الروسى والانجليزى

وتغلغلها في البلاد ، ثم إعادة النظام والقضاء على الفوضى . ولكنهم كانوا في أملهم مخدوعين وفي وهمهم على غير تفكير صحيح ، إذ لم يفتأ الروسيون ينصبون من شباك دسائسهم ويوالون مكائدهم ، فحاولوا عام ١٩١١ المرة بعد الأخرى إعادة تنصيب محمد علي الشاه المخلوع . في حين استغلّ الانجليز ثورة في الجنوب ، وكانوا هم من العاملين على إشعال نارها ، للتدخل في شؤون البلاد والتمهيد لذلك . واضطرت الحكومة القائمة في سبيل تثبيت قدمها في الحكم إلى عقد قرض ، ذلك القرض الذي يؤدي إمّا إلى تحكم انجلترا أو روسيا في الجمارك ووضع يدها عليها أو إلى المطالبة بامتيازات جديدة . ومن الانصاف القول بأن الانجليز ساروا في إيران على سياسة ترمي إلى سيادة الطمأنينة والسلام فيها ، في حين كان الروسيون يبذلون كل جهدهم لضم ولايات إيران الشمالية إلى نفوذهم والاحتفاظ بها . وإن النفوذ الروسي ليدين بالشئ الكثير لبعثة مورجان شوستر الأمريكية المالية التي حلت في البلاد عامي ١٩١١ / ١٩١٢ فزهزعت

المالية الإيرانية وألحقت أضرار كثيرة بالحالة الاقتصادية .
واستفاد الانجليز بما قامت به بعثة الجندرية السويدية وما أدخلته
من النظم ، كذلك ومن تنظيم البلجيكيين للجبارك . على أن
ذلك كله لم يفد في تثبيت دعائم السلطة نفسها في البلاد .
انتهزت قبائل الرحل هذا الموقف المضطرب فأعلنت استقلالها
الواقعي وأخذت تتحكم في المسالك والطرق وتعمل السلب
والهيب فيها . وأخذت الوزارات في طهران تسقط بسرعة
والحكام يتغير الواحد منهم أثر الآخر حتى أصبحت إيران في
الفترة السابقة للحرب العالمية مباشرة ، وقد استبدت الروس
بولاياتها الشمالية ، والانجليز بولاياتها الجنوبية ، ثم الأتراك
بولاياتها الغربية ، فلم يبق للعاهل القاجارى في طهران من
السلطة إلا اسمها فقط .

إيران والحرب العالمية

لم يكن مستغربا عند إعلان الحرب العالمية الكبرى ،
والموقف في بلاد إيران كما سلف ذكره ، إذا كان يتناهبها
ثلاث دول ، أن تسارع انجلترا وروسيا وتركيا إلى احتلال
البلاد عمليا . بل وذهبت هذه القوى الثلاثة إلى أبعد من
ذلك إذ اتخذت من بلاد إيران المحايدة ميدانا للحرب بينها .
سارعت روسيا عقب إعلان الحرب مباشرة باحتلال
جنودها لتبريز وأعقبتها بمدينة مشهد ، في حين أسرع الانجليز
بانزال فرقهم في بوشير ثم المحمرة باسم حماية امتيازات الزيت
التي حصلوا عليها في جنوب إيران . حدث ذلك كله بالرغم
من معارضة الحكومة الايرانية وإعلان حيادها إزاء الحرب
العالمية . وحاول الانجليز عند جلاء الجنود الروسية عن شمال
إيران عام ١٩١٧ احتلال الشمال أيضا فسارعت قواتهم إلى
همدان محاولة احتلالها كي تنفذ منها إلى مدينة باكو وتضع يدها

على ولاية جورجيا وتخضعها لنفوذها . تلك كانت خطة الانجليز وإن لم يصادفها التوفيق أو يحالفها النصر فيها بسبب وقوف الأتراك في طريقهم . وأفاجت الجنود الانجليزية في احتلال مدينة مشهد ووصلت حتى سواحل بحر قزوين .

بسط الانجليز سيطرتهم على البلاد ، فقاموا بتكوين فرق إيرانية تحت إشرافهم عرفت باسم فرق البنادق الجنوبية الايرانية ، كما وضعوا أيديهم على الجندرية . وابتدأ نفوذهم منذ عام ١٩١٨ يشتد . فكانت جميع الولايات تخضع لمشيئتهم كما لم تكن حكومة الشاه لترفض لهم طلبا أو تهمل لهم رغبة .

لم تدن البلاد بأجمعها لسلطة الانجليز على الرغم من شدة نفوذهم ، وقوة ساطانهم فاضطر الانجليز في خريف عام ١٩١٨ إلى محاربة قبيلة قشجاي في الجنوب مرتين ، كما لم يتمكنوا من إخضاع جنجيز كوتشيك خان في الشمال . وكان سكان الأراضي الواقعة حول بحيرة أراميا في غرب البلاد معظمهم من الكلدانيين ، فلم تستطع

انجلترا أن توقف المذبحة المائلة التي قامت بينهم وبين الكرد
وانتهت باكره الكرد للكلدانين على النزوح إلى أراضي الجزيرة .
بدأت دعاية ممثلي السوفيت الروسى عنها فى عام ١٩١٨
بالدعوة إلى تحرير بلاد إيران من الاحتلال الانجليزى . وجاءت
الأنباء فى بداية عام ١٩١٨ بالانتصار الألمانى الكبير فى فرنسا
ثم استقالة الوزارة التى كانت موالية للانجليز بطهران وخلافة
حكومة ثورية وطنية لها . وبدأت حكومة إيران تطالب بجلاء
القوات الانجليزية عن جنوبى إيران ، وكانت الوزارة الايرانية
الجديدة هى الوزارة التى ترقبها البلاد من سنين عديدة توالت
فيها وزارات متعددة ، إذ تزعمت الأخيرة حركة النهضة والتجديد
مما أتاح لها أن تلعب دورا بارزا كبيرا فى تاريخ إيران وإحيائها
لروح الوطنية القوية فى البلاد وبعثها لها من جديد . ولاحت فى
الأفق عقبة جديدة ، إذ انتهت الحرب العالمية بانكسار ممالك
أوروبا الوسطى وانهار آمال الوطنيين فى الأمم المتحدة بسبب ذلك .
على أن ذلك لم يكن ليثنى من عزيمة رجال حكومة إيران ،

إذ أرسلوا بوفد منهم إلى مؤتمر الصلح في باريس ، على الرغم من سابق إعلان حكومة إيران لحياذها ، وكان برنامج هذا الوفد يرمى إلى المطالبة بكل بلاد كردستان وولايات أواسط آسيا ، وتعويض مالى عما لحق بالبلاد من جراء الحرب . ولكن انجلترا أفلحت في إبعاد هذا الوفد عن المؤتمر وعدم السماح له باسماع صوته ، شأنها في ذلك ما جرت عليه مع غيره من وفود الأمم الشرقية الأخرى المظلومة التى وهمت أن تنال حريتها وحقوقها على أيدي هذا المؤتمر . وفي حين كانت هيئة ممثلى إيران في أيامهم الأولى بباريس إذ ستمتت وزارة إيران وحل محالها وزارة عرفت بصداقتها لانجلترا .

الاتفاق الانجليزى الايرانى

عام ١٩١٩

فكرت انجلترا ، بعد خروجها من الحرب الكبرى خروج
الظافر ، أن تنظم موقفها في بلاد إيران تنظيماً نهائياً . ولم يكن
من الطبيعى وقد أصبحت صاحبة السيادة العظمى في جزيرة
العرب أن تترك بلاد إيران وهى قنطرتها إلى الهند ، دون
سلطانها وتفوذها ، فتوصلت إلى عقد معاهدة على يد اللورد
كرزن وسيربرى كوكس في ٩ أغسطس سنة ١٩١٩
ب طهران مع حكومة وثوق الدولة . وما كانت تلك المعاهدة إلا
حماية مقننة وأغلالاً مموهة بالذهب . إذ نصت تلك المعاهدة في
أول بند منها ، على مثل ما تنص عليه كل معاهدة استعمارية من
هذا النوع ، باعتراف انجلترا باستقلال إيران التام . ثم ألزمت
حكومة إيران إزاء انجلترا بالتزامات ، منها انتداب بعثة انجليزية
لإعادة تنظيم الجيش الايرانى ثم الاشراف الانجليزى على المالية

الایرانية ، والتزامات أخرى بشأن حالات حدوث حرب ضد أحد الطرفين الخ الخ . على أن الظروف لم تتمح تحقيق غايات هذا الاتفاق وتنفيذ ما كان الانجليز يبغون من ورائه ، إذ لم يكن الوقت يناسبه ولا الظروف تواتيه . كما قوبل في بلاد إيران نفسها بمعارضة قوية شديدة . وذهبت فرنسا وأمريكا يريان أن في هذا الاتفاق محاولة من إنجلترا لتأكيد غنائمها في الشرق بعد ما خرجت من مؤتمر الصلح بنصيب الأسد . كذلك قام الوطنيون الإيرانيون يتهمون رئيس وزارتهم بتناوله الرشوة من الانجليز في سبيل إمضائه لهذه المعاهدة ، وأنه بهذه الاشتراطات قد باع إيران للانجليز ، وطالبوا بإلغاء هذه المعاهدة الغاء تاما .

وتشبثت إنجلترا بتلك المعاهدة على الرغم من المعارضة الشديدة التي قامت في البلاد ، وطالبت حكومة إيران بتصديق البرلمان الإيراني عليها ، كما نصحت شفويا للشاه في الوقت نفسه بمغادرة طهران ، فلبى دعوتهم وأطاع أمرهم .

الانقلاب الوطنى الكبير

٢١ فبراير سنة ١٩٢١ .

دفعت الانجليز حى النصر إلى التشييت بسرعة موافقة البرلمان
الإيراني على الاتفاق الإيراني الانجليزى لسنة ١٩١٩ ، ذلك
الاتفاق الذى أدى إلى هياج الرأى العام الإيراني ضده . واتقد جاء
هذا الاتفاق فى ظرف أصبحت فيه نيران الوطنية تتأجج فى
شعوب الشرق بأجمعه ، فكانت نيران الثورة فى مصر مشتعلة على
أشدها ، كما كان كمال أتاتورك يحارب الحلفاء فى الأناضول ،
وقامت الهند فى ثورتها على انجلترا ، كما كانت الاضطرابات قائمة
على أشدها فى سوريا وبلاد الشام وأرض الجزيرة .

عادت روسيا فى ثوب البلشفية تنازع النفوذ الانجليزى من
جديد فى بلاد إيران ، وعمد الانجليز ، فى سبيل طعن البلاشفة ،
إلى تسليم أسطولهم فى بحر قزوين إلى القسائد الروسى الأبيض
دينكين . على أن الفرق الروسية الحمراء أفلحت فى مباغته هذا

القائد وحجز هذا الأسطول في ميناء انزيلي المعروفة الآن ببندر
بهاوى ، وهى مصيف الشاه على بحر قزوين ، وأرغموه على الاستسلام
لهم . وباغت البلاشفة ميناء انزيلي نفسها في منتصف سنة ١٩٢٠
وأنزلوا قواتهم إلى البر في جناح الظلام واضطروا القوات الانجليزية ،
وكانت تحت أمرة الجنرال شامبين ، إلى الانسحاب والتخلي عن
الأسطول ، وبذا فقدت إنجلترا كل نفوذ لها على بحر قزوين .
كان هذا الحادث سببا في استقالة وزارة وثوق الدولة التي

عقدت اتفاق سنة ١٩١٩ مع الانجليز ، بعد أن تربعت على كرامى
الحكم عامين ، وذلك لاشتداد روح الكراهية للانجليز على
أثر حادث ميناء انزيلي لدرجة استحالة معها التحدث في مسألة
الموافقة على اتفاق سنة ١٩١٩ .

ونقل السير برسى كوكس السفير الانجليزى من طهران إلى
العراق وحل محله آخر . وحدث أثناء ذلك أن قامت ثورة كيتشيك
خان في إقليم جيلان وإعلان استقلاله بالمقاطعة ، وساء الحال في
إيران إلى درجة كبيرة وأخذ الناس يحملون إنجلترا مسؤولية كل

هذه المصائب ، وأرسلت الفرق القوزاقية الإيرانية لاطفاء الثورة ، ولم يكن الكفاح في الحقيقة بين الجنود وبين الثوار وإنما كان بين موسكو ولندن .

كانت موسكو ترى في بقاء الجنود الانكليزية في إيران تهديدا خطيرا لولاياتها القوقازية وأملاها في أواسط آسيا فعمدت على توغل قواتها في شمالي إيران . وسارت قوات الحمر تحت إمرة الجنرال ستوروسلسكي نحو مدينة رشت واحتلتها ، ثم اشتبكت في معارك مع الفرق الإيرانية القوزاقية لبثت رحاها دائرة حوالى شهرين . وتمكنت الفرق الإيرانية في ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٠ من استرداد مدينة رشت ومطاردة القوات الحمراء حتى جاسيندان ، ولكن بوارج الحمر فاجأت فرق القوزاق الإيرانية عند الممر الموصل إلى ميناء انزلي وأمطرتهم بنيرانها واضطرتهم للارتداد نحو الخطوط الانكليزية .

خرج ضباط فرق القوزاق الإيرانية من هذا الانكسار بنتيجة اقتنعوا بها تمام الاقتناع ، وهى إبعاد جميع العناصر

الأجنبية عن الفرق . وكان زعيم هذه الحركة الضابط الشجاع
رضا خان بهلوى . وجاهر بهذا رأى أمام رئيس هيئة أركان
حرب الفرق ، كما أعلن مبدأ حركته وهو ترأس الإيرانيين
للإيرانيين ، إذ كان يرى ذلك السبيل الوحيد لتقوية
الحالة النفسية وسموها بين الجنود وجعلهم يشعرون بالقومية
ويتحمسون لها . وسرى مبدأ الضابط رضا خان بين الضباط
والجنود وتحمسوا له أشد التحمس حتى أصبح يجرى مع الدماء
في عروقهم ومع الحياة في أرواحهم . وقوى نفوذ رضا خان الضابط
بين الجنود وأصبحوا يرون فيه مثاهم الأعلى الذى يفتدونه بالمرج
والنفوس ، لا يهصون له أمراً أو يخالفون له رأياً . عرف
الجنود ذلك كله فى قائدهم وزعيمهم كما عرفوا فى وزارة طهران
سلسلة مخازى وممرات . وبينما كان رضا خان سائراً فى طريقة
ونهضته يهد العدة لمستقبل الجنود إذا بوزارة مشير الدولة تسقط
وتخلفها وزارة سباه دار أعظم ، الذى لم يفتح ، كسابقه ، فى تنظيم
الموقف وإدارة دفة الأمور . ولقد حاول هذا الوزير أن يجمع

نواب البلاد للموافقة على الاتفاق الانجليزى الإيرانى لسنة ١٩١٩
ولكنه اصطدم بموقف البلاد السابى فكان نصيبه الفشل
فى كل محارل .

قامت بطهران إبان تلك الأزمة حركة ترمى إلى تفضية
الوزارة بعنصر جديد من الشبان المثقفين المشتغلين بالسياسة ،
وكان زعيم هذه الحركة ورأس هذه الجماعة الصحفى سيد ضياء
الدين أشهر كتاب إيران الحديثة وأقدرهم على الاطلاق . وكان
سيد ضياء الدين وجماعته يشترطون التغيير والتبديل فى إدارة
الحكم إذ كان يشعر هو وأنصاره أن البلاد فى حاجة إلى الانقاذ
من الأساس . وكان من رأيه الاعتماد على قرض جديد يعقده
فى إنجلترا يحقق به غاياته ، وإن ظهر للشعب والرأى العام بمظهر
العداء للإنجليز . وكانت خطته ترمى إلى تأليف فرقة
مكونة من خمسة عشر ألف جندى يكون قوامها الأرمن
والقوزاق الموجودين بطهران . ووجد أن تسليح هذه الفرقة يحتاج
إلى عقد قرض من الانجليز يقدر بمبلغ مليون جنيه انجليزى .

واشترط الانجليز لعقد هذا القرض أن تكون إمرة هذه الفرقة للضباط الانجليز . وغنى عن البيان أن في قبول هذا الشرط تقوية للنفوذ الانجليزى مما يكون من ورائه هدم جميع مشاريع الحكومة الاصلاحية ، وفيما كان ضياء الدين يفكر فى هذا الموقف ، إذا بالأخبار تأتية بأن بعض ضباط الفرق الإيرانية القوزاقية تجيش فى نفوسهم نفس فكرته لإنقاذ البلاد ، على أن يقوم تأييدها على أسنة رماحهم ورصاص بنادقهم حين يعهد اليهم بذلك ، لاعلى أكتاف الجنود الأجنبية .

لم يتردد سيد ضياء الدين تلقاء ذلك أن يدخل فى مفاوضات مع أركان حرب تلك الفرق العسكرية فى إقليم قزوین .
وقبعت القواد والمندوبون الانجليز بایران فى اختلافهم مع سياستهم بلندن يؤمنون أنهم لابد نائلون بغيتهم وماآربهم ، وأن تحبُّط سياسة الحكومة فى إيران إنما يُعَجِّل سير الأمور لصالح انجلترا .
كان الرأى فى لندن على العكس إذ رأوا أن الموقف يطول وأن الوقت يمر دون الحصول على فائدة محققة . ونقد صبر

أولى الأمر في دوننج ستريت فأصدروا أمرهم إلى الفرق البريطانية بالانسحاب حالما تسمح ممرات الجبال بذلك ، ولتترك إيران تدبر مصيرها بنفسها .

ظهرت القوات الحمراء الروسية في الأفق تهدد إيران من جديد فصارت فرقتان منهم لتقوية الحامية الحمراء المحتلة بالمدينة رشت . وانقلب الموقف الحكومي في فبراير سنة ١٩٢١ إلى حالة تماثل الحالة في فرنسا وتطابقها تماما من ناحية توالى إسقاط الوزارات وتوالى تأليفها ، وركدت الأمور وتعطلت الأعمال الحكومية ثم توالى بعد ذلك الأنباء بشورة القبائل الرُّحل .

عقد مشاور الممالك السفير الإيراني في روسيا في ذلك الوقت اتفاقا مع روسيا السوفيتية ، لم يكن ينقصه إلا اعتماد الحكومة الإيرانية وموافقة مجلس نوابها . وقد نص هذا الاتفاق على الاعتراف باستقلال إيران التام ، ثم اعتراف حكومة السوفيت أيضا بإلغاء جميع الاتفاقات السابقة التي أرغمت فيها حكومة القيصر الروسي حكومة إيران على قبولها . كما أعلنت روسيا

السوفيتية استنكارها الشديد لمحاولات الدول الأوروبية التي ترمى إلى القضاء على الشعوب الآسيوية . كذلك أعلنت موسكو في هذا الاتفاق عداؤها لكل حركة ترمى إلى أضعاف بلاد إيران أو إذلال شعبها أو المساس بحريتها واستقلالها . وتنازلات روسيا في هذا الاتفاق عن جميع الأراضي الإيرانية التي استحوذت عليها عام ١٨٩٣ ، كما أعلنت استعدادها لنجدة الشعب الإيراني بفرقها في حالة وقوع أى اعتداء أجنبي على إيران . وتنازلات روسيا لإيران عن كل ديونها وعن بنك الخصم الروسى وكافة فروعه في إيران ، كما سلمت روسيا إلى إيران جميع خطوط التلغراف ومباني الموانى ، التي أقامتها في إيران والتي كانت تحت أيديها ، سليمة كاملة . ورضيت روسيا فوق ذلك أن تنشئ إيران أسطولا لها من جديد في بحر قزوين على أن لا تنازل إيران يوما ما يجزء من هذا الأسطول إلى طرف ثالث أو تضعه تحت تصرف أية قوة أجنبية أو تخصصه لخدمتها . كذلك تنازلات روسيا عن جميع حقوقها وحقوق رعاياها وامتيازاتها في إيران ، كما

تنازلات عن كل ما يخص الارشاليات الارثوذكسية الروسية
هنالك ، بما في ذلك مبانيها ومؤسساتها التي انتفعت بها حكومة
إيران في تأسيس مدارس بها .

جاء هذا الاتفاق السخى سندا قويا لإيران في مفاوضاتها
مع الدول الأوروبية عام ١٩٢٨ لانهاء الامتيازات الأجنبية في
إيران الفاء تاما . وتم عقد هذه المعاهدة بموسكو في ٢٦ فبراير
سنة ١٩٢١

كانت أزمة الحكم تشتد يوما بعد يوم ، وموسكو تراقب
الحالة في إيران عن كثب ، والفرق الانجليزية تتأهب لمغادرة
البلاد ، ولكنها لا تزال بها ، حتى كان يوم ٢٠ فبراير
سنة ١٩٢١ إذ وصلت فيه أزمة الحكم اقصى درجاتها .

مالبتت نفسية جنود الفرق الإيرانية القوزاقية بعد خروج
الضباط الروس منها أن قويت والتهبت نار القومية والوطنية
بين جوانح الضباط والجنود ، فمألت نفوسهم واحتتات قلوبهم .
وبينا كانت الحال كذلك ، على عكس ما كانت عليه حكومة

طهران التي لم تكن تدري ما تفعل أو تبرم ، إذا برضا خان يفتاح
ضباطه بقرار حاسم يرمى إلى مطاردة الفرق البريطانية واجلائها
عن مناطقها واحتلال تلك المناطق ، فيسد بذلك الطريق إلى
طهران أمام الفرق الحمراء . وبذل ضباط الفرق قصارى جهدهم
وغاية ما في وسعهم لاذكاء روح الحماس وحب الكفاح والقتال
في نفوس الجنود . وكانت قيادة الفرق جد مطمئنة من الناحية
المالية اعتمادا على امدادات حكومة طهران بسد قطع الانجاز
مفاوضاتها معها . وكان الضباط يرون في فرقهم أمل إيران ،
إذ كانوا يعتبرونها الفرقة الوحيدة القادرة على حماية البلاد والذود
عنها . ورأى الضباط أنهم لتحقيق استقلال البلاد يحتاجون إلى
معاونة رجل سياى يكون على رأس الحكومة لتلبية مطالب
الفرق وتنفيذ رغائبهم .

لمسوا في سيد ضياء الدين الرجل الذي تتفق مبادئه القومية مع
مبادئهم ، فارسلوا إليه بضابطين من ضباط أركان الحرب ممن
تشبعوا بالثقافة الأوروبية ، وهما الضابط مسعود خان والضابط

كاظم خان ، وكان الأخير يعرف سيد ضياء الدين حق المعرفة
اذ كان قد اشترك معه فى بعثة أرسات إلى باكو .

كان برنامج ضياء الدين قويا بألفاظه وعباراته فأمل أن
تكون الفرق أداة يستغها لتحقيق أغراضه . وقبل رجال الحرب
هؤلاء أن يقفوا بجانبه إذ كانوا مقتنعين بأن الانقلاب فى الحكومة
لا تقوم له قائمة إلا على أكتاف الجنود وبحد السيف .

دفع قرار الانجليز بالجلاء ، القادة العسكريين إلى العمل
والمبادرة بتنفيذ خططهم فى الحال . ولم تكن الجنود القوزاقية من
حرس الشاه فى إيران تدرى شيئا عن الموقف ، كما لم يكن أولئك
الجنود ليهمهم أمر الوطنية أو القومية كثيرا ، فما كانت تلك الفرقة
تعرف لها واجبا أو كان لديها من الشعور إلا حماية الشاه ، فهى
لا تتوانى أن تسرع إلى الدفاع عن الشاه اذا قيل لها أن هناك خطر
يهدده . على أن الحالة النفسية والأخلاقية كانت بين هؤلاء الجنود
لحسن حظ القادة العسكريين تسير من سىء إلى أسوأ . وحدث
أن عصى أحد الضباط فى حرس الشاه القوزاقى أوامر رئيسه

ودب ديب العصيان في بعض النواحي ، فصدرت الأوامر باستبدال هؤلاء القوزاق بفرقة جديدة من الجنود الإيرانية المسلحة عند قزوین . وما أن وصل هذا الأمر بالبرق إلى قزوین حتى سارعت بإرسال فرقة قوامها الفان وخمسمائة رجل ، بدلا من السبعمائة رجل المطلوبين ، إلى طهران . ثم تلى هذه الرسالة البرقية رسالة أخرى بطلب سير جميع الجنود إلى طهران لتنفيذ الخطة المرسومة ، ثم وردت رسالة ثالثة تستعجل السير وتستحث الفرق على الزحف . وسارع مسعود خان إلى طهران ليقف بجانب سيد ضياء الدين ساعة الفصل ولحظة الخطر . وحلت الفرقة الإيرانية القوزاقية محل فرقة مشاة طهران والكتيبة العراقية وأورطة الخيالة وبطارية المدافع الجبلية وبطارية مدافع خفيفة بعد أن أجلتها عن ثكناتها . وكان انتخاب رضا خان لإمارة هذا الانقلاب المسلح وإدارة دفته ، ذلك الانقلاب الذي قام ضد العدو في الداخل والخارج وطهر العاصمة من كل نفوذ أو تدخل خارجي ، تكميلا لسيرته الحربية وفوزا بآهرا عظيما له .

ينحدر رضاخان من بيت حربي قديم في ولاية مازندران وهي الولاية الوحيدة التي حافظت على كيانها ودمائها الإيرانية فلم تفلح جيوش اليونان أو الممبول أو العرب أو الترك في النفوذ إلى مسالكها أو التوغل في جبالها . ولد رضاخان في ١٦ مارس سنة ١٨٧٨ في مكان اسمه الاشيت بمنطقة سوادكوه في مقاطعة مازندران من أب عسكري هو الصاغ عباس علي خان أحد ضباط فرقة سوادكوه ذات التاريخ العسكري المجيد . وكان جد رضاخان لأبيه مراد علي خان ، قائد تلك الفرقة ، قد استشهد في ميدان الشرف عام ١٨٥٦ م أثناء محاولته ، على رأس تلك الفرقة ، استرداد بعض الأراضي الإيرانية التي كان الأفغان قد استولوا عليها وكانت انجلترا قد تدخلت في هذه الحروب مؤيدة للأفغان ضد الإيرانيين . ومات والد رضا خان في العام الأول من حياة طفله ، فكفل الطفل عمه نصر الله شاه وكان قائداً لقوات ولاية مازندران . والتحق رضا خان بالجندية في بداية شبابه وانخرط في سلك فرقة القوزاق عند نهاية القرن

الماضى ، ثم أخذ يتسلق الدرجات العسكرية بسرعة . وكان من جليل مزاياه اعتماد رؤسائه عليه كثيراً وثقتهم المطلقة به فى المهمات الجسام والمخاطر الشديدة . وخدم رضا خان فى طهران وهمدان وكرمشاه ثم فى الولايات الغربية فكان موضع إعجاب زملائه لما اتصف به من الشجاعة العظيمة والشهامة ، إذ حدث فى إحدى الحملات التى جُردت لصد العدو فى كرمشاه أن قرر جميع الضباط والجنود الانسحاب عند ما وجدوا أنه لم يعد فى مقدورهم صد طوفان العدو المتدفق ، ولكن الضابط رضا خان لم يقبل أن ينسحب وصمد للعدو وهاجمه بأفراده القلائل حتى كتب له النصر المبين . واكتسب الضابط رضا خان فى جولاته على رأس كتائبه القوزاقية بهمدان ، إبان مطاردة العدو ، خبرة كبيرة بالمواقف الحربية والعسكرية .

وكتب أحد الضباط الأجانب المحايدين يصف رضا خان ، وكان قد تعرف به فى العام السابق لحدوث الانقلاب ، فقال :
« كان جد ملتزم للصمت الشديد عند مارجوته أن أعرض عليه خط

سيرى ، فتبسط معى بعد ذلك فى الحديث ولبث قرابة الساعة
يمطرنى بالسؤال تلو الآخر . ولقد تملكتنى الدهشة والاعتباط
أن لاحظت سرعة تفهمه لأكبر المسائل المعقدة والمأمه بها .
سار رضا خان على رأس فرقته ، وكان قوامها الفين وخمسمائة
رجل تعاهدوا على النصر أو الموت فى سبيل إنقاذ طهران
وتخليصها مما بها من الجبناء والضعفاء القابضين على زمام الأمور
فيها . وقبعت سيد ضياء الدين رئيس الوزراء المنتظر المدخر ومعه
معاونيه الحميم الأرمي أبيكيان ومسعود خان ، وهما الوحيدان اللذان
كانا يتدخلان فى كل أمر يحدث بطهران ، فى انتظار وصول
المنجدة . ووصل خبر تدبير الانقلاب إلى الحكومة القائمة بطهران
فى ١٩ فبراير ، وذلك عندما بلغ نبأ سير القوات القوزاقية ،
فأسرع الشاه بارسال السردار هايون للاقاة الفرق القوزاقية
وإبلاغها بأوامر الشاه بالعودة إلى معسكراتها عند بحر قزوين .
وحين لم تأبه الفرقة لقوله قفل عائداً إلى الشاه فى عجلة شديدة .
وبلغ الذعر والارتباك من حكومة طهران والشاه أشدهما ، وتساؤلا

إن كانت هذه الفرق القوزاقية قد تواطئت مع البلاشفة .
وأرسل الشاه من جديد أحد أعضاء حكومته ، بصحبة
سكرتيه ، لملاقاة الفرق والاستفسار منها عن بغيتها وما ترمى إليه .
فالتقيا بها في معسكرها على مسيرة اثني عشر ميلا من طهران ،
وأحسن القوم وفادتهما . وبرز سيد ضياء من بين الصفوف وأوضح
للوافدين أن إخلاص الفرق القوزاقية للشاه أمر لا شك فيه ،
وأنه لا علاقة تربطهم مع البلاشفة ، إنما هي مطالب قومية
يريدون تنفيذها وتحقيقها ، ومن بينها إقالة الوزارة القائمة .
واستبان للناس ثبات تلك الفرق مما قضى على أى شك في
قوة عزيمة قائدها رضا خان الذى سار إلى طهران ، دون
أن تستطيع الحكومة إيقافه ، اكى يطهرها ويجعل منها عاصمة
تليق بعظمة إيران .

أخذت حكومة طهران تفكر إبان ذلك فيما تستطيع أن
تعدده من وسائل الدفاع عن المدينة . وأرسلت حامية الوسط
بمدافعها المحشوة إلى باب قزوين لملاقاة المهاجمين ، فما لبث أفراد

تلك الحامية أن سارعوا بالانضمام إلى الفرق القوزاقية حين لاحت لهم طلائعها . وما كان ذلك عن جُبن إنما كانت الخطوة الأولى في سبيل تكوين وحدة حربية قومية ، مظهرين بذلك أن رغبة رضا خان وإرادته هي ما برحوا يمتنون النفس بها ، لا بأن يقوم بعضهم في وجه البعض الآخر .

أخذ الانقلاب دوره سريعا ، إذ غجأت الجنود القوزاقية بوضع يدها على إدارة البوليس ومراكزه في المدينة ونزع السلطة منه ، فاحتلت الجنود مكاتب البوليس ومراكزه وقبضت على كثيرين من أفرادها . وقامت أثناء ذلك بعض مناوشات صغيرة قتل فيها أربعة من رجال البوليس وجرح اثنان من الجنود القوزاقية . وانتهى الأمر بأن طلب حاكم دار البوليس في المدينة ، وكان جنرالاً سويديا ، مهلة إلى الصباح يطالب فيها إلى الشاه بالإذن بأن تعمل الجنود القوزاقية جنبا لجنب مع رجال البوليس . وقصد الجنرال السويدي إلى الشاه في الصباح واستأذنه فيما سلف فأجابته إلى ما طلب . وعادت الطمأنينة إلى نفس الشاه إذ

علم أن الجنود القوزاقية ما تزال تكن الولاء والاخلاص له ،
بعد أن قضى الليل كله يحزم حقائبه استعدادا للفرار .

أخذت الجنود القوزاقية تعمل جنبا لجنب مع رجال البوليس ،
وأصبح رضا خان حاكم المدينة المطلق ، واتحدت كافة الجنود
طائفة في أغلبيتها مختارة تحت إمرته . وما أتى صباح اليوم التالى حتى
استيقظت المدينة على صوت حركة غير عادية ، والجنود تجوب
الطرق ، وأبواب المدينة مغلقة ، وقد وقف عليها الضباط يفتشون
السيارات ووسائل النقل تفتيشا دقيقا . كما وقف حرس منهم
بأبواب السفارات الأجنبية فى المدينة ، وكان المقصود بحراسة
السفارات طبعاً أن لا يتسرب أحد من رجال الحكومة السابقة
إلى السفارة التى كانت تستغل العهد الماضى لصالحها . وأفلح كثيرون
على الرغم من هذه التحركات فى الهرب ، كما نجح رئيس الوزراء
السابق سباه دار أعظم فى الالتجاء إلى السفارة الانجليزية . ولم
يكن اسم رئيس الوزراء السابق ضمن القائمة التى حوت أسماء
السياسين الذين أجزموا فى حق الوطن وتقرر القبض عليهم . كما قبض

على الذين أرادوا استغلال هذا الظرف والقيام بثورة شيوعياً
أمثال الأمير فرمان فرما ، والأمير فيروز الذي كان يروج للاتفاق
الانجليزى الإيرانى (اتفاقية عام ١٩١٩) والذي كان قد اتفق
مع محافظ كرمنشاه على القيام بانقلاب شيوعى لصالحه ، وان لم
تُكشف تلك الخطة إلا فيما بعد .

ألف سيد ضياء الدين الوزارة الجديدة وتقلد رضا خان
منصب رئيس أركان حرب الجيش وسرداره ، ووضعت الحكومة
الجديدة برنامجها الذى يتلخص فى ناحية السياسة الخارجية فى
رفض الاتفاق السرى الانكليزى (اتفاقية ١٩١٩) ، وفى ناحية
السياسة الداخلية فى إصلاح الادارة والعدالة والقضاء ، والتعجيل
بنظر القضايا المعلقة والفصل فيها ، وكانت تبلغ الأربعة آلاف ،
وحل مصلحة الأفيون والاستغناء عن موظفيها والقيام بالإصلاح
الاجتماعى وإصلاح الاراضى .

لبثت تلك الخطة البديعة مخطوطة على الورق يحتاج أصحابها
إلى القوة والمال لتنفيذها ، فلم تكن الخطب والنداءات والبرامج

بمفردها لتأتى للشعب بنتيجة ، إذ كان جد تواق إلى رؤية التنفيذ العملى . ولم تكن أهم نتائج هذا الانقلاب تنفيذ خطط الإصلاح التى سبق إعلانها ، إنما صار إلى تقوية الروح العسكرية ونفوذها ثم مبادرة المجلس النيابى إلى التصديق على اتفاقية موسكو بعد خمسة أيام من حدوث الانقلاب أى فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ ، ذلك الاتفاق الذى ضم إلى إيران أراضى جديدة وخرجت منه بمغانم شيرة ، كان فى أولها أن أمنت جانب الروسيا . كما أعلن مجلس النواب أيضا رفضه الإجماعى لاتفاقية سنة ١٩١٩ الانجليزية .

بادرت الجنود الانجليزية عقب تلك الحوادث بالاسراع فى الجلاء وحلت محلها فى الحال الفرق الإيرانية القوزاقية ، ولا سيما فى المنطقة الواقعة عند قزوین . لكن لم تغادر الفرق الحمراء المناطق الإيرانية الشمالية بنفس السرعة التى كانت تغادر بها الجنود الانكليزية البلاد إذ كانت الأولى تخاف غدر الثانية ولا تأمن جانبها دوماً . ووقع بين الجنود الأحمر والجنود الإيرانيين ،

إبان حركة الجلاء ، بعض الحوادث عند الحدود بطبيعة الحال ،
ولكن أمرها انتهى بتقديم حكومة موسكو الترضية الكافية
لحكومة إيران .

انصرف رضا خان إبان تلك الحوادث يفكر في حالة
البلاد ، وخرج من تفكيره بأن الأمور لا تستقر في نصابها إلا
عند تكوين جيش وطني كبير موحد كامل العدة والسلاح يكون
قادرا على حماية الحدود وقرار الأمن في أنحاء البلاد . وتقلد
رضا خان وزارة الحربية ووضع يده على وزارة المالية لتدبير المال
اللازم لتنفيذ خطته بخصوص الجيش ، ثم بدأ بضم الفرقة
القوزاقية وحامية الوسط وفرق الصيادين والمتطوعين بعضها إلى
بعض ، مكونا منها وحدة تكون بمثابة نواة للجيش الوطني الجديد .
واتخذ قصر قاجار مقرا للقيادة ، واختار أحد ضباطه المقربين
الذين يثق بهم ، وهو الضابط أمان الله ميرازا ، رئيسا لأركان
حربه ، ووظف يصلاح من أمور الجنود في ناحية العناية والسكن
وتوفير الأمور الصحية والزى مما جعل الجندي الإيراني يظهر

بالمظهر اللائق أمام مواطنيه الذين عادوا إلى احترامه وتقديره .
كان رضا خان يرمى إلى قيام كل إصلاح على أساس
الجنسية وعلى أساس قدرة افراد الشعب على حماية وطنهم ، إذ
دلته التجارب على أن كل اتفاق دبلوماسي إنما تخرج منه
الأمة الضعيفة ، التي لا تقدر على حماية أراضيها ، خاسرة ، وإن
كانت هي صاحبة الحق ، فبدأ بتكوين فرق صغيرة قوية
أخذ يعممها تدريجيا في أنحاء البلاد .

واصطدم رضا خان مع سيد ضياء الدين في مسألة الاستعانة
بضباط الانجليز في تنظيم الجيش ، وكان الأخير من أنصار هذا الرأي
والعاملين على ترويج هذه الفكرة ، كما تبين بعد ذلك اتصاله
بالانجليز . كان سيد ضياء الدين يرى أنه لن يتم تنظيم الجيش
على الوجه الأكمل دون الاستعانة بضباط الانجليز ، في حين
كان رضا خان يرى عدم السماح لأى هيئة أجنبية مطلقا بالتدخل
في شئون الجيش أو الوقوف على صغيرة فيه ، فلم يكن
رضا خان لينس مافعله الضباط الانجليز بالفرق الإيرانية التي

مسبق تكوينها تحت إمرتهم .

واكتشف رضا خان اتصال سيد ضياء الدين بالانجليز
وسقطت وزارة سيد ضياء الدين بعد ثلاثة أشهر وهرب إلى
أوربا . هذا وان ذهب ضياء الدين يدفع عن نفسه تهمة
الاتصال بالانجليز والتواطىء معهم ، بأنه كان أول من نادى
برفض اتفاقية سنة ١٩١٩ .

واستدعى الشاه ، قوام السلطنة ، أحد السياسيين المعتقلين من
معتقلة ، وعهد إليه بتأليف الوزارة الجديدة . أيعاد إذا ذلك العهد
الذى تخلصت البلاد منه ، وتذهب التضحيات التى بذلت فى
سبيله سدى ١٩٢٠ . على أن رضا خان ، وكان قابضا على الزمام
بيده الحديدية ، واصل سيره فى نسج خيوط الشبكة العسكرية
وتكوين الجيش الايرانى ، ذلك الجيش الذى كتب له النصر
أولا وأخيراً وفى كل مكان .

رضا خان يقضى على الفتن في أنحاء البلاد .

جلا الانجليز عن مراكزهم في جنوبي البلاد ولسكنهم لم يغادروا مراكز الزيت التي يملكون امتيازاتها هناك . وأخذوا في تقوية نفوذهم من جديد بين القبائل هناك يمدونها بالسلاح ويبدلون لها المال . وانسحبت فرق الحر من الشمال ولكنها لبثت عند الحدود ترقب الحال ، إذ لم تكن لتأمن جانب الانجليز وهى تعرف ما جُبلوا عليه من المفاجئات والمقالب الاستعمارية التي اشتهروا بها .

ذهب الحر يمنون أنفسهم بإثارة عامة الشعب في البلاد على آل قاجار ، وانكشفت تلك الأمانى في حديث لتروتسكى ، أحد كبار زعماء البلاشفة إذ ذاك ، مع صحافى تركى فى المؤتمر الذى عقد فى باكو خاصا بالشعوب الشرقية ، إذ أفضى إليه فى حديثه بأن روسيا الحمراء كانت ، تبغى من وراء مساعدتها للغازى كمال أتاتورك وإيران ، وصول طبقة عامة الشعب إلى

الحكم كما في روسيا . وأخذ الحر يعملون على تحقيق أمانهم
هذه باثارة القبائل التي تقطن شمالى إيران ، ولكن كلا
الطرفين ، من الإنجليز والبلاشفة ، اخطأ تقديره وخانه حسابه إذ
تمكن رضا خان فى بحر الأربعة السنوات من عام ١٩٢١
إلى ١٩٢٥ ، مستعينا بجيشه الفتى الصغير من القضاء على كل
فتنة وإطفاء كل ثورة ، حتى دانت البلاد بأجمعها من بحر
قزوين إلى الخليج الفارسى لحكومة طهران .

ثورة جيلان : حاول الأمير مؤيد وأولاده فى موقع
سواد كوه ، الواقع شمال إيران عند منطقة بحر قزوين أن يستقل
بمقاطعته ، فثار فى وجه حكومة طهران وأعلن عصيانه لأوامرها .
وتزعم الثورة ، فى منطقة فيروز كوه ، احسان الله خان وسعيد
الدولة وهاجا مركز تنكابون واحتلاه . ووصلت أخبار الثورة إلى
رضا خان ، وزير الحربية وأمير الجيش ، فبادر بإرسال قوة
مجهزة بأحدث الأسلحة على رأسها أمير بنج ، أحمد آقا خان ،
وبصحبتها كتيبة من فرقة بهلوى على رأسها الضابط صادق خان

لملاقاة الثوار . وطلبت جنود الحكومة من الثوار التسليم فلما لم يرضخوا فاجأتهم بهجوم عنيف عند مكان يقال له سرخ دوبات وكسرتهم ، قشتتوا على أثر ذلك وسارع الأمير مؤيد يعان طاعته لحكومة طهران تلغرافيا ، فأمنه رضا خان وصرح له بالعودة إلى سوادكوه . وسار في نفس الوقت سرهنگ محمد خان شاه بنختي على رأس خمسة طواير من فرقة بولادين إلى قزوين ، وأمكنه أن يفسد على ثوار سالمبار بعض خططهم . وأخذت جنود احسان الله التي كانت تجمعت مرة أخرى عند سهرتنك في الاستعداد لمهاجمة فرقة حكومة إيران ، وأنزلت بها فعلا خسائر جسيمة غير أن النصر كتب أخيراً لجنود طهران ، واضطر الثوار إلى الانسحاب . وجاءت الأخبار بأن بين الثوار كثيراً من الجنود والضباط الروس غير أنه كان من الصعب في ذلك الوقت التمييز بين الروس البيض والروس الحمر .

وتراجع الثوار إلى موقفين يقال لهما علت ودلير حيث تقابلوا مع الفرق التي كانت تحت أمرة محمود خان شاه بنختي . وأكرهت

الجنود الثوار إلى موالاته التقهقر بعد مقاومة عنيفة منهم . وأخذت قوات سرهنك فضل الله خان وقوات سرهنك محمود خان شاه بجنى تقترب من بعضها وتحصر الثوار بينها . وأرغم الثوار ، مندفعين بيأسهم ، سكان خوريم أباد وشهسوار على تجنب سبعمائة رجل منهم ، واندفعوا تحت إمرة ضباطهم الروس وعبروا نهر جالوس لملاقاة قوات الحكومة وعرقلة انضمامها إلى بعضها ، ولكن جاء ذلك متأخرا ، إذ كانت قوات الحكومة قد احتلت خوريم أباد ودودسر فلم يجد العصاة بدا من التسليم ، وسلم معهم الضباط الروس ، وأرسل جميع ما كان مع العصاة من الذخيرة والأسلحة غنيمة طيبة إلى مخازن أسلحة الجيش بطهران .

وركزت فرق الحكومة قواتها في لنكرود ، واتسع نطاق الثورة من جديد فالتسعت معها نطاق العمليات الحربية ، وسارع رضا خان بنفسه إلى ميدان القتال وقاد القوات إلى مدينة رشت ، التي كان يحتلها الثائر كيتشيك خان . وانتمحى الفريقان ، فأظهر جنود القوزاق الشجعان من تلاميذ مدرسة رضا خان الحديثة من

ضروب الاستبسال والإقدام ما كتب النصر والغلبة لها ، فسقطت مدينة رشت في أيديهم ، بعد صراع دموى عنيف ، وفر التأثير كيتشيك خان ، بعد أن تخلت عنه عصاباته ، إلى جبال تالش ، فلم تدركه جنود الحكومة إلا جثة هامدة إذ كان سكان تلك الجبال قد بادروا إلى بتر رأسه .

وحدث في العام التالي أى عام ١٩٢٢ ، أن هرب أحد زعماء فتنة جيلان ، سيد جلال جهنى ، من معتقله في طهران وقصد إلى جيلان حيث أخذ يدعو إلى الثورة واشعال نيران الفتنة من جديد . على أن حركته لم يتسع نطاقها إذ قبض على أخيه وتشتت اتباعه قبل أن يمتد لهب الفتنة ، ولقى حتفة هو الآخر في جبال تالش . وقطعت الحكومة هذه المرة دابر الثورة والثوار في تلك المنطقة نهائيا .

أراد سكان مقاطعة جيلان أن يظهروا لرضا خان اعترافهم بجميله في تحرير مقاطعتهم ، فقرروا إقامة تمثال له بأرضهم ، وانتهالت التبرعات من كل جانب لهذا الغرض . وحدث بعد عامين من

هذا الحادث أن نزلت عواصف شديدة بتلك المقاطعة تسببت عنها خسائر فادحة ، فبادر رضا خان ، بما عرف عنه من الرحمة وحبه الخالص للإنسانية ، بالتنازل عما جمع من المال لاقامة تمثال له ، إلى أهالي البلاد تعويضاً لهم عما لحق بهم من الأضرار . ولكن عرفانهم بجميله وقرارهم بحسن صنيعه دفعهم إلى التشبث بإقامة التمثال ، ولاغرو فقد أنقذ بلادهم وقضى على الفتن والقلق بشمال إيران جميعه ووطد أركان الأمن والطمانينة فيه وقضى على البلشفية ودعايتها وحبائلها هناك قضاء تاماً ، وهكذا كان في التمثال تذكاراً لعمل خالد جليل وصفحة وطنية رائعة باقية .

اضطرابات ازربيجان : أعلن الثائر اقا سميتكو استقلاله

بولاية ازربيجان الشمالية الغربية ، ولم يكن رضا خان قد قبض على زمام السلطة في البلاد . وراح ذلك الثائر يهدد بعصاباته حكومة طهران ويعلن الحرب عليها . وأخذ هو ورجاله ينشرون الرعب والفرع في أنحاء ازربيجان ، إذ كان على ما يظهر يأمل بمساعدة موسكو في إقامة جمهورية بلشفية في البلاد . ولكن

حكومة موسكو ، وهى تعرف مجريات الأحوال بايران ، لم تقدم على الاشتراك فى هذه المغامرة اوالمساهمة فيها .

وما أن انتهى رضا خان من إطفاء فتن ولاية جيلان وإقرار الأمور فيها حتى بادر بالسير إلى إقليم أذربيجان .

خرج الجيش الناشئ ، بعد تجربة جيلان التى صقلته بروح معنوية قوية ونشاط باد وعزيمة وثابة ، صوب التجربة الثانية . وأفاحت عصابات الثوار بادىء الأمر ، فى ضرب الفرق الحكومية وإرغامها على التقهقر ، إذ احتلت مدينة تبريز وزجت بجميع موظفى الحكومة بها فى السجن . لكن الجنود القوزاقية لم تلبث أن تجمعت فى نقطة ساودشبولاق وسارت لاسترداد تبريز . أسرع الجنرال حبيب الله خان إلى المدينة وطلب من العصاة التسليم ، بدون قيد ولا شرط ، فرفضوا أمره بادىء بدء فأصلاهم نارا حامية حتى اضطروا بعد مرور اثنتى عشرة ساعة إلى التسليم . وواصلت جنود الحكومة أعمال التطهير حتى اضطرت زعيم الثوار سميتكو ، الذى أتى لنجدة عصاباته ، إلى التسليم والخضوع . وما شاع خبر

القضاء على الثورة في أذربيجان حتى قامت إيران ، من أقصاها إلى أدناها ، تحتفل بهذا النصر كما أرسل رئيس مجلس النواب يهنئ رضا خان على توقيقه . وعاد الجنرال أمان الله خان بعد انتهاء المعارك إلى العاصمة ، وعين رضا خان الجنرال عبد الله خان قائداً للقوات في المنطقة الشمالية وأسند إليه بصفة خاصة إقرار الأمن والمحافظة عليه في إقليم أذربيجان .

أعلنت قبائل فولادلو وشالشي ، عند قم أباد ، الثورة في بداية ١٩٢٣ وكان يتزعمها الثائران أشاير ورشيد المالك ، فكسرتهم جنود الحكومة في ٢٥ مارس سنة ١٩٢٣ واحتلت حصن أمار وأجأتهم إلى الهرب ، ولكنهم عاودا الكرة في أول مايو التالي ، فاحتهم جنود الحكومة عند دار بند وحى وطيس القتال بينهم ، وخسرت الحكومة عددا من جنودها ، ولكن المعركة انتهت بقتل مائتي رجل من الثوار وأسر مائتين وغرق مائتين منهم أثناء محاولتهم عبور نهر كيزيل أوزون في طلب الهرب . وتقدم رؤساء تلك القبائل ، التي لم تعرف الطاعة يوما ما ، إلى عاصمة ولاية

أذربيجان وسلموا أسلحتهم وقدموا سيفاً تاريخياً ثمينا ، ليهدى إلى رضا خان ، إعلانا لخضوعهم .

وشبت ثورة جديدة فى نفس الوقت بشبه جزيرة تانك كاظم بزعامة كاظم كوشتشى . وتقع شبه الجزيرة هذه على شاطئ بحيرة أرميا الغربى ، ويقوم بها جبل ارتفاعه حوالى ثلاثمائة متر يحوطه الماء من جهات ثلاث . وأحاط الثائر كاظم حصنه بالأسلاك الشائكة وبث الألغام بمدخله ، كما اشترى قاذفا للهب ومدفعين . سارت إليه جنود الحكومة فى يناير سنة ١٩٢٤ ودكت حصنه دكا وغنمت مالهيه من الذخائر والأسلحة ، وكانت مجموعة من صناديق من الذخيرة وثمانية قوارب وثلاثة أجهزة تلغرافية وثلاثة صناديق من الديناميت وعدد كبير من القنابل والقذائف اليدوية ، ثم المدفعين وقاذف اللهب التى كان قد اشتراها كاظم بنفسه . وأطلقت حكومة طهران من ذلك اليوم على ذلك الحصن اسم قلعة سلطان على . وساطان هذا هو أحد الجنود الحكوميين ، أظهر بسالة نادرة عند مهاجمة هذا الحصن حتى استشهد فى ميدان القتال .

حار الناس في معرفة كيفية وصول هذه الأسلحة الكثيرة إلى هذا التأثير وغيره ولكنهم لم يقفوا على كنه ذلك .

وقضى السردار رضا خان على الفتن في أنحاء البلاد ورأت القوات الأجنبية في موانئ جنوب إيران مدى النصر الذي أحرزه السردار رضا خان ، فأخذت تجلو عنها . وهكذا أخذت بندر عباس وبندر لنكي وبندر كشم وبندر جابهار وغيرها من موانئ الخليج الفارسي تتنفس الصعداء من هذا الكابوس الذي عانتها سنين طويلة .

رأت حكومة طهران أنها وإن كانت قد قضت على الفتن والاضطرابات في أنحاء البلاد فإن الخطر في الشمال والجنوب مازال يترقب على الأبواب في انتظار أي ضعف يبدو في طهران أو أزمة تحل فيها ويكون نتيجةها إهمال شؤون الجيش فتزكي نيران الثورات والفتن من جديد ، لذا أخذ من بيدهم مقاليد السلطة هناك يفكرون في شكل للحكومة يضمن السير بالبرنامج الاصلاحي المنشود وتحتهيمه وتجنب أي أزمة في المستقبل .

بين الجمهورية والملكية .

استقرت الأمور في كافة أنحاء إيران بفضل شخصية رضا خان العظيمة وحزمه وقوة شخصيته ، وعادت الحكومة طهران هيبتها وعظم نفوذها ، وعرفت البلاد فضل رضا خان ، وردد الشعب تمجيده والإشادة بأعماله في كل مكان . ودفعت روح الحسد التي تغلبت على بعض النفوس ، شأن أعداء كل زعيم عظيم ، إلى حدوث مشادة بين رضا خان وبعض أعضاء المجلس النيابي ، في إحدى الجلسات ، قدم على أثرها رضا خان استقالته من منصبه وغادر طهران . ولكن ضباطه لحقوا به في رجاء عودته إلى منصبه ، كما قدم له المجلس النيابي الترضية الكافية . وتغيرت الوزارة أربع مرات فكان رضا خان في كل مرة يختار وزيرا للحربية وسردارا للجيش ، وكان تملك رئيس الوزارة به في كل مرة أكثر من تملك الشاة نفسه ، ولم يكن استبقائه في وزارة الحربية ورئاسة الجيش إلا لما رأوه من تعلق الشعب والجيش

الشديد به . لم يلبث أن عاود الحسد والغيرة ، من تلك الشخصية الكبيرة ، القلوب . ولا غرابة في هذا فذلك ما يحدث في كل مكان وزمان ، فألف الشاه مع رئيس الوزارة جبهة وقفت نفسها لمعاكسة وزير الحربية ودكتاتوريته العسكرية .

اكتشف بوليس طهران في أكتوبر سنة ١٩٢٤ مؤامرة لاغتيال رضا خان . وكانت الرأس المدبرة لذلك الاغتيال رئيس الوزارة السابق المدعو قوام السلطنة . وسارعت وزارة الحربية بالقبض عليه ، كما توصل رضا خان إلى معرفة العناصر التي تحاول عرقلة خط سيره وخطواته عن التقدم . وأرغم رضا خان الشاه في ٢٨ أكتوبر على أن يعهد إليه بتأليف الوزارة محتفظا فيها لنفسه بمركزى وزير الحربية وسردار الجيش . واكتفى رضا خان بأن طلب إلى قوام السلطنة أن يغادر البلاد فورا ، بدلا من محاكمته ، فشد رحله في الحال إلى أوروبا . وما لبث الشاه أحمد القاجارى أن غادر البلاد إلى أوروبا أيضا .

أجرى رضا خان الانتخابات في الأربعة الأشهر الأولى من

وزارته ، ولم تستغرق عملية الانتخاب أكثر من خمسة أيام .
ودهش الناس لهذه السرعة التي جرت بها إذ كانت في السابق
من أصعب المسائل وأعمد المشاكل الداخلية . ثم ذهب رضا
خان بعد ذلك يعالج مسألة امتيازات الزيت في الشمال لأول مرة ،
كما نبتت في رأسه فكرة إنشاء خط حديد يقطع بلاد إيران
من الخليج الفارسي إلى بحر قزوين . وسلم الشعب مقاليد
وقيادته للرجل القوي القابض على أزمة السلطة والحكم الذي أخذ
على عاتقه مسؤولية السياسة الخارجية .

هكذا تطور الموقف ، فإذا بالشاء يغادر البلاد دون أن يُحدّد
مدة إقامته في الخارج بعيدا عن مملكته ، وإذا بالوزارة تتولاها
الشخصية القوية الوحيدة التي ينحني الجميع أمامها في إجلال
واحترام أكثر من احترامهم لحاكم البلاد القائم اذ ذاك . ثم قرب
افتتاح الدورة الخامسة للمجلس النيابي ، وقامت الصحافة في طهران ،
قبل موعد انعقاد المجلس النيابي الجديد بشهر ، بحملة واسعة النطاق
تدعو إلى تغيير نظام الحكم في إيران وإعلان الجمهورية ، متشبهة
في ذلك بما حدث في تركيا الحديثة ، ومقترحة أن تكون

رئاستها لرضا خان ، غازى ايران ونظير كمال اتاتورك بها .
وامتدت الدعوة إلى الأقاليم والمقاطعات ، وانتهال فيض غزير من
الرسائل البرقية إلى طهران مؤيدا لهذه الفكرة . ولم يشأ
رضا خان فى استمرار الدعاية لتلك الفكرة فأعلن فى إحدى خطبه
أن هناك أمورا أهم من النظر فى نظام الحكم وتغييره ، وأن هذه
الأمور تستلزم انصراف جهود البلاد بأعمالها لتحقيقها ، ثم أعلن
برنامجا على أسس ثلاث : —

- (١) إقرار الأمن والنظام واستتبابها فى أنحاء البلاد .
- (٢) العمل على نشر التعليم والثقافة والتوسع السريع فى
ذلك حتى تستغنى البلاد عن الأساتذة الأجانب .
- (٣) تنمية موارد البلاد الاقتصادية وترقية استثمار المناجم
والأراضى للقضاء بذلك على المصاعب الاقتصادية ولتثبيت مركز
البلاد الاقتصادى .

ولم يشر رضا خان فى برنامجا إلى نظام الحكم فى البلاد
أو يلمح بأى تبديل أو تغيير فيه . وفتح نشر رضا خان لبرنامجا

أمام الصحافة معينا لا ينضب ، إذ أخذت تواصل دعايتها الأولى وتتسائل عن إقامة الشاه في أوروبا وإهماله لشئون بلاده وعدم اهتمامه بها ، وتقارن بين حالة الشاه وبين رئيس الوزارة الذي وقف جهوده وحياته على خدمة بلاده وتقانيه في حبه لها .

كان الموقف في تركيا على تقيضه في إيران ، فقد أصدر المجلس الوطني الكبير في اجتماعه بأقره في ٣ مارس سنة ١٩٢٤ قراراً أعلن فيه إلغاء الخلافة ، ودينوية الدولة ، والقضاء على نفوذ المشايخ ورجال الدين . ولقد ألم أئمة الشيعة ورجال الدين في إيران بتلك التصرفات وأحيطوا بها علماء ، لذا كان قيام الجمهورية في إيران على نمط الجمهورية التركية بعيد التحقيق ، إن لم يكن مستحيلاً ، إذ أن تقاليد الشيعة هناك ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ إيران القديم والحديث مما يؤدي التفكير في إلغائها أو سلب السلطة من مشايخها إلى ثورة لا نأى إلى نهاية .

حدد يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٥ (يوم النوروز) لاجتماع مجلس النواب للنظر في مسألة نظام الحكم والبت النهائي فيه ، فإما

إلى النظام الجمهورى أو النظام الملكى . والتّم عقد المجلس لأول جلساته قبل النوروز فى ١٥ مارس . وتقدم ، بعد مرور يومين على هذه الجلسة ، أربعون من الوزراء السابقين والنواب بهريضة طلبوا فيها من رضا خان إعلان الجمهورية وإعداد الإجراءات اللازمة لانتخاب رئيس الجمهورية . وتوالت الرسائل البرقية من الجاليات الإيرانية المقيمة فى الهند ومصر مؤيدة لفكرة الجمهورية وإعلانها . وتظاهر معظم أعضاء الأسرة الشاهانية بالدعاية للجمهورية ، أما أئمة الشيعة فى مشهد فقد انقض مؤتمراً بمزار شيرين عن انقسامهم إلى قسمين ، فمنهم من أعلن تأييده للجمهورية ومنهم من نادى بمناوئتها .

انجابت الحركة الجمهورية عن معسكرين ، المعسكر الأول ويتزعمه حزب التجدد ، وقوام ذلك الحزب النواب واتباعهم واتحاد الشباب المتدين . وكانت هذه الفئة ترى بأن للبرلمان حق تغيير مواد الدستور بما يحول له إسقاط العائلة المالكة وإعلان الجمهورية . أما المعسكر الثانى فكان يتزعمه عدوانجلترا اللدود ، المجتهد الخالزى

وكان ينادى هو وأتباعه بفكرة إعلان « جمهورية الشعب الحقيقية »
ولا يقرون للبرلمان القائم بأحقية تغيير مواد الدستور ، إذ يعتقدون
ببطلان الانتخاب الذي استغرق مدة خمسة أيام فقط ، ويتهمون
الحكومة باستعمال نفوذها وضغطها فيه . لذا كانوا يصرون على
استفتاء الشعب نفسه وعقد جمعية وطنية قانونية صحيحة تعلن
« جمهورية شعبية حقيقية » . وأخذ المعسكر الأول يستعد
لضربته الأخيرة والقيام بتحقيق وجهة نظره في يوم النوروز « رأس
السنة الإيرانية » ، في حين أخذ الخالزي ، في نفس الوقت هو
وأتباعه ، يحمس الشعب لفكرته ويشيرهم لأجل تحقيقها . وكان بين
رجال الدين كثيرون من أعداء الانجليز وفي هذا الكفاية .

أخذ الخالزي يظهر مودته نحو روسيا السوفيتية ، كما
طلق أتباعه يروجون لدعايتهم قائلين بأن رضا خان إنما يرمى
من وراء الجمهورية إلى إعلان دكتاتورية الجيش الإيراني وتحكمها
في البلاد إلى الأبد ، وفيما عدا ذلك فسيكون آلة في يد السياسة
الانجليزية . وزادوا على ذلك باتهامهم أعضاء حزب التجدد

بأن اليد الانجليزية تحركهم من وراء ستار .

لم يخف الأمر على رضا خان بأن السياسة السوفيتية هي التي تدبر دعايات الخائزي وتحركها ، وخاف أن تؤدي الحركة الجمهورية إلى اضطرابات داخلية . وهل الأسبوع الأخير السابق للنوروز فاذا ب طهران تجتاحها عاصفة حمراء سوفيتية ، وإذا بالصحافة تشتت في حملتها على الأسرة الحاكمة ، حتى أخذت إحدى الصحف توالى الاصدار مطبوعة على ورق أحمر اللون ، وإذا بوفود النواب تتوالى وتتقاطر على رئاسة الوزراء في غير انقطاع مطالبة بتغيير الدستور وتعديله ، ولم يلبث أن أبعاد نساء الشاه من طهران واعتقل ولي العهد في قصره . وملأت الرايات الحمراء الشوارع ، كما عاق كثير من الجنود والوظفين الشارات الحمراء على أذرعهم . وحدث في البرلمان عراك عنيف على أثر إعلان أحد النواب أن المجلس قد فقد حريته وأصبح خاضعا للنفوذ العسكري . وتطور هذا العراك إلى أن انتهى بتبادل الطلقات النارية . وامتد هذا التطور إلى الجموع المنتظرة خارج البرلمان . ولم يمض

على هذا الحادث مدة طويلة حتى اغتيل أحد النواب أمام ساحة المجلس لإعلان عدائه لفكرة الجمهورية . وأظهر رجال البوليس والجيش همّة عظيمة في منع امتداد الشغب والاضطرابات .

دعى المجلس النيابى إلى الاجتماع فى ١٨ مارس وكانت وسيلة الدعوة إلقاء نشرات الدعوة من الطيارات . ولم يتمكن حزب التجدد الذى كان يدعو إلى الجمهورية أن يحوز أغلبية . وتقدم مندوبون إلى رضا خان بطلب عرضوا فيه بأن الحل الوحيد لمشكلة السياسة الداخلية هو دعوة جمعية عمومية شعبية لها حق إصدار القوانين للبت فى مسألة الجمهورية .

وعقد الخالزى اجتماعا كبيرا فى ٢٠ مارس وطالب فيه الحكومة بتنفيذ الالتزامات الأربعة الآتية : —

- (١) ضمان الحرية الشخصية وعدم الاعتداء على الأرواح .
- (٢) الإفراج عن جميع المعتقلين من أنصاره بسبب نداءهم بجمهورية شعبية .

- (٣) القضاء على مظهر الصداقة لآنجلترا فى البرلمان .

(٤) دعوة جمعية عمومية تشريعية للانعقاد .

شروط ينطق كل واحد منها بإيعاز الكومنترن السوفييتي .
وبادر حزب التجدد بعقد اجتماع مناهض لاجتماع الحزب
السالف الذكر ، وتقدم إلى البرلمان بمشروع يرمى إلى خلع الأسرة
المالكة وإعلان الجمهورية . وعهد يبحث هذا الاقتراح إلى لجنة ،
مفوضة مطلقا التصرف ، قوامها اثنا عشر عضوا . وأصدرت
اللجنة قرارها ، بأغلبية تسعة أصوات ضد ثلاثة ، بأن البرلمان
القائم لا يصاح لإجراء تغيير أو تبديل في الدستور .

وفي حين كانت الأمور تسير على هذا النمط السابق ، كانت
حركة أعداء الجمهورية ، التي كان يغذيها النفوذ الشيعي في البلاد ،
تشتد يوما بعد يوم . واستغلوا سحق تجار طهران بسبب خسائرهم
الناجمة عن اضطرابهم لإغلاق محالهم لحوادث الاضطرابات . إذ
أمل هؤلاء التجار أن تنعش الحركة بسبب إقبال عيد النوروز
وحلول رأس السنة الإيرانية ، ولكن معاودة الاضطرابات
اضطرتهم إلى إعادة إغلاق متاجرهم مرة أخرى ، مما سبب لهم

خسائر جسيمة . وأقبل رجال الدين (مُلّا) يدخلون في كل محل لبيع الصحف ويمزقون الصحف التي تدعو إلى الجمهورية ، فكسبوا بعملهم هذا عطف أصحاب المتاجر العديدين ، وأفلحوا في ضمهم إلى صفوفهم . وراجت في أنحاء طهران إشاعة جديدة ، بأن بين جنود رضا خان كثيرون لا يوافقون رأيه ، وأن الجيش سيعلم معارضته هذه في القريب . ثم جاء عيد رأس السنة ومضى دور الاحتفال والعرض العسكري المعتاد . وعاد السوفييت يستطلعون اتجاه الرياح فلما رأوا أن حركة الخالزي لم تلق إلا تعصيذا قليلا ، انقلبوا يسعون إلى تشجيع حركة أعداء الجمهورية ، مستغلين روح التعصب الديني في البلاد ومزكّين له ، ورأى موسكو في ذلك أن في انتصار أساليب القرون الوسطى ضمانة لحدوث الاضطرابات في المستقبل . على أن حركة الجمهورية عادت تشتد من جديد وتسيطر على الموقف .

وانعقد البرلمان في ٢١ مارس ، وقد استعد الحزبان القامان لهذا الاجتماع ، فقام خطباء هنا يدعون إلى الجمهورية ووقف

خطباء هناك يحمون عليها ، واشتد النضال بين الحزبين واشتط
بين جدران المجلس وقذفوا البوليس بالحجارة . ودخل رضا خان
المجلس شاهرا سيفه ، فحياه بعض القوم منادين بحياة الشاه ،
في حين نادى الآخرون بسقوط الشاه . واثار رجال الدين
(مُلاً) حماسة الناس في الخارج ، وزاد اتباعهم حتى تمكنوا من
التغلب على الحرس والدخول إلى قاعة اجتماع المجلس ، وكان
خطيب من خطباء الدعوة إلى الجمهورية قد صعد المنبر في
تلك اللحظة . فطلب رئيس المجلس من رضا خان العمل على
إخلاء المجلس من الذين دخلوه عنوة ، فسارع رضا خان باصدار
أوامره وأفلح في إعادة النظام والسكينة . ورفعت الجلسة على أن
يعود المجلس إلى الانعقاد في ٣٦ مارس .

أصبحت المدينة وحوانيتها مغلقة احتجاجا على الحركة
الجمهورية ، كما ذهبت جموع كثيرة من الشعب إلى قصر ولي
العهد محمد حسن ميرزا هاتفة بسقوط الجمهورية وحياة الملكية .
ولم يحرك ولي العهد ساكنا إذ كان يعلم أنه حتى في انتهاء الأمر
إلى الملكية فإنها لن تكون من نصيبه .

وغادر رضا خان طهران قاصدا إلى مدينة قم ، حصن
الشيعية منذ القدم ومركز تعاليمها ، حيث اجتمع بأئمة الشيعة وتحدث
معهم في الموقف السياسى وحالة البلاد ، ثم قفل راجعا إلى طهران
وأصدر النداء التالى : « أيها المواطنون ، لقد علمتنا التجارب أن زعماء
البلاد يجب عليهم أن لا يقفوا موقف المعارضة من رأى العام ،
لذا فإن نظام الحكم القائم ، الذى يحرص على شعور الشعب ، قد
رفض استعمال أى شدة أو القيام بأى ضغط عليه . ويسرنى فى
الوقت نفسه أن أعلن أنى قد وضعت نصب عيني من أول
وهلة إعلاء كلمة الاسلام واستقلال إيران والمحافظة على حقوق
الشعب وحمايتها . ولم أزل حتى اليوم أدرج على تلك الخطة وأعمل
بها ، فاعتبرت كل معاد لتلك الخطة وهذه المبادئ عدوا للوطن
وأعلنت عليه حربا لا هوادة فيها . على أنى أرى الرأى العام قد
اختل توازنه الآن وأن الشعب قد تسربت الخيرة إلى نفوس
أفراده وتطور الموقف إلى معارضة ما أسير فيه من إقرار الأمن
واستتبابه فى البلاد ونشر السلام وتدعيم أسس الدولة . ولقد

أخذنا على عاتقنا ، أنا وجميع الضباط وجنود الجيش ، كأول واجب ، إعلاء كلمة الاسلام وحمايته والحفاظة على مركزه السامى فى العالمين ، كما ذهبت إلى زيارة مقام الامام على الرضا ، بناء على دعوة حجج الاسلام والعلماء ، وتباحثت مع أئمة الدين فى الحالة والموقف .

وإنى لأرى من واجبى الآن أن أنصح إلى الراى العام بالعدول عن المناقشات والجدال والأخذ والرد فى مسألة الجمهورية ، كما أطلب من الأمة جميعها أن تتضافر وتوحد كافة جهودها وتوجهها إلى العمل فى بناء استقلال البلاد وتقدمها ، وأن تقف بجانبى للسير فى طريق تقوية أسس العقيدة والاستقلال فى أنحاء البلاد .

لذا فأنا أدعو جميع أنصار هذه المبادئ المقدسة أن يطرحوا فكرة الجمهورية جانبا .

لم يجد رضا خان أن نداه قد أتى بالتأثير المطلوب ، فعمد إلى آخر سلاح أدبى فى جعبته إذ اعترم الاستقالة من مناصبه

والاعتكاف مختارا في مكان ما . فقدم استقالته إلى البرلمان وأخطر قادة الجيش بما انتهى إليه في المنشور التالي .

« لقد توصلت بمعوتكم أيها الضباط الشجعان إلى إجلاء القوات الأجنبية عن البلاد والقضاء على الفتن والاضطرابات في داخلية البلاد وإني لأراني أزاء ما يقوم به بعض المحرضين مضطرا إلى الاستقالة من مناصبي والتنازل عنها . وسيقوم في غيابي رئيس هيئة أركان الحرب في الإشراف على النظام ومراقبة الأحوال ومباشرة إصدار الأوامر . ولم أسعى إلى دعوة قواد فرق الجيش إلى ، إذ يجب أن يقوموا بالمحافظة على الأمن والنظام في الأقاليم والمقاطعات . وسيقوم الجنرال أمير اقتدار بمهمة ضابط الاتصال بين الجيش والبرلمان في غيابي . واني أضع الجيش أمانة بين يدي الله التقدير وبين أيديكم » .

غادر رضا خان طهران في ٩ أبريل قاصدا موقع رودهين . وارتفعت البلاد لدى علمها باستقالته، وعبأ بعض من القواد فرقهم استعدادا للزحف على طهران واحتلالها في حالة إذا لم ترفض

الاستقالة ويعود رضا خان إلى منصبه . كما انهال في الوقت نفسه من الأقاليم سيل من الرسائل البرقية تطالب بعودة رضا خان إلى منصبه . وتقدمت عريضة موقعة من ستين نائبا إلى رضا خان يدعونه فيها ، باسم مصلحة البلاد إلى الرجوع لمنصبه وتجنب حدوث كارثة في البلاد ، وقبل رضا خان بعد إلحاح شديد العودة إلى منصبه ، وطرح المجلس الثقة به فخرج بأغلبية ثلاث وتسعين صوتا ضد سبعة ، فأولاه البرلمان ثقته التي لا حد لها . وهكذا قضى على فكرة الجمهورية وانتهى حديثها .

عاد رضا خان إلى تسلم مقاليد السلطة من جديد في أشد ظروف البلاد حاجة إليه . إذ تمكن أحد الثائرين المعتقلين ، وهو سردار رشيد ، من الفرار أثناء هذه الاضطرابات الأخيرة وعاد إلى إعلان الثورة من جديد في إقليم لورستان ، تلك الثورة التي مفاضت فيها الدماء أنهارا وأودت بحياة كثير من جند إيران ، إذ أفلح الثوار في قطع الاتصال بين مركزي الفرق الحكومية في خوريم آباد وبورودشيد ، ثم حاصروا حامية خوريم

أباد التي كانت تحت إمرة سرتيب محمد خان شاه بنختي .
استعملت الجنود الإيرانية في هذه الموقعة ، لأول مرة ، معدات
الحرب الحديثة ، إذ كانت وزارة الحرب قد استحضرت من
ألمانيا والروسيا وفرنسا مقادير وفيرة منها ، فاستخدمت القوات
في حربها مع الثوار الدبابات والطائرات ، كما جُهِز جزء من
الجيش بالسيارات المدرّعة . وتمكنت فرقتا ميرك وبهادور من دك
قشلاق خوريم أباد . وأخذ الثوار بعد ذلك يستميتون في المقاومة
والكن الطائرة « شاهين » اكتشفت مواقعهم وأصلتهم نارا حامية ،
كما قامت الطائرة الحربية « سيمرغ » بقيادة الطيار محمد
حسين مرزا بالقاء قنابلها عليهم . وأسقط في يد الثوار إزاء
آلات الدمار الحديثة هذه وقتل عدد كبير منهم كما فر أغلب
الأحياء إلى جارمسير . وقام رضا خان نفسه بالتفتيش في ولاية
لورستان حيث استعرض جنوده الظافرة ، واستقبله الشعب استقبالا
رائعا جليلا .

ذلك إلى أن أعداء رضا خان لم يركنوا إلى السلم بعد

وأخذوا يحكيون دسائسهم بين الجنود ، فرأى رضا خان حسما
لكل ذلك ، وفي سبيل القضاء على تلك الدسائس قضاءً نهائياً ،
أن يزيد في التفات الحكومة إلى أمور الجيش وأن تقبض بيد
أقوى على زمام الأمور فيه وأن يعاد تنظيمه ويوجه كل اهتمام
إلى ذلك .

الجيش الايراني الحديث

انعقد مجلس الجيش الإيراني الحديث لأول مرة في شهر إبريل قبل بداية حركة الجمهورية وكان مكونا من قواد الفرق وجنرالية الجيش ، وكانت رئاسته لرضا خان الرئيس الأعلى لمستشاري الجيش .

لم يذع المجلس شيئا من قراراته وبقيت جميعها سرية ، على أن المعروف أن من بين ما اتفق عليه ، جعل الجيش في معزل من التدخل في سياسة البلاد الداخلية ، والقضاء بشدة على كل حركة أو دسيسة ترمي إلى ذلك ، وتقدم رئيس هيئة أركان حرب الجيش سرتيب أمان الله مرزا بتقريره عن شرائه الأسلحة من فرنسا .

ومُنح رضاخان في ٧ مايو أعلا قلادة حربية المسماة (ذو الفقار) باسم الجيش ، واستعرضت حامية طهران في ٨ مايو تكريما له . وعقد مجلس الجيش الأعلى في سراي رئاسة الوزارة

اجتماعاً سرى ثانياً فى ٩ مايو ، وألقى فى هذا الاجتماع رئيس
أركان حرب الجيش خطبة أشاد فيها بذكر رضا خان باعث
الجيش ومنشؤه الذى يعزى إليه الفضل فى اتلافه وتوحيده .

لقد كانت حالة الجيش الأولى ، وما كان عليه من التفكك ،
صورة حقيقية لما كانت عليه الأمة من الانحلال وتمزق وحدتها ،
فقد كانت الفرق القوزاقية الإيرانية قبل الانقلاب الوطنى المعروف
الذى حدث فى فبراير سنة ١٩٢١ ، تواجه الانجليز وتواجه معهم
الفناء ، فى حين كانت قيادتها فى أيدي ضباط الروس . كما
كان الانجليز يرمون من وراء كل مساعدة يتقدمون بها لإيران ،
إلى فائدتهم الخاصة الأمر الذى عانت منه البلاد كثيراً

لقد قام بتكوين فرق الجيش فى السابق الشاه القاجارى ، ولكنه
كان يستعملها أداة لخلق الروح الوطنية ، فاستعمل عليها لتحقيق
هذه الأغراض ضباطاً أجانب من الروس . وجاء رضا خان ،
فأبعد الضباط الروس بل وكل ما هو أجنبى فى الجيش ووحداته ،
ولم يأل جهداً فى إدخال الأنظمة الحديثة فى الجيش وتزويده

بآخر ما توصلت معامل التسليح إلى إخراجه . وكانت كل زيادة في العناية بتقوية الجيش تزيد من العداء للعائلة القاجارية التي كان الناس يتهمونها بأنها كانت تعمل لاضعاف إيران وهدم استقلالها . وأتيحت الفرصة لرضا خان لأن يعان ان حكم آل قاجار كان حرباً على الروح المعنوية في البلاد .

وركز رضا خان قوات الجندرية وحاميات الوسط وفرق القوزاق والمتطوعة معاً وألف منها جيشاً مؤتلفاً في زى واحد وبزة واحدة ، ثم سلاح هذا الجيش بأحدث الأسلحة ونظمه على أحدث النظم الأوروبية ، كما أرسل من كبار ضباطه إلى أوروبا والروسيا لشراء ما يلزم له من الأسلحة والمعدات .

وأصدر رضا خان أوامره إلى محافظى الأقاليم وعمد البلاد بحل ماتحت أيديهم من القوات الخاصة التي كانوا يستعينون بها على حفظ الأمن ، وعهد إلى رجال الجيش بالحلول محلها في مثل هذه المهمات . كما عهد إلى فرق الصيادين في الجيش بالعمل على شق الطرق العسكرية في أنحاء البلاد ، ومنع أن يعهد إلى

غير العسكريين بنقل الأسلحة والمؤن والم ذخائر .

وبعث رضا خان في ربيع سنة ١٩٢٣ بخمسين طالبا من خريجي المدرسة الحربية تحت إمرة سرتيب حبيب الله خان شيباني إلى فرنسا لتكملة دراستهم في مدارسها الحربية . وأقام لهم حفلة وداع قبل سفرهم حضرها ضباط الفرق وألقى فيهم الخطبة التالية :-

« إن اليوم الذي قد وقع عليكم الاختيار فيه ، لكي تسافروا إلى فرنسا ، ليعد يوما مشهودا في حياة جيشنا . فأنتم تسافرون للدراسة في بلد لها جيش يعد في طليعة جيوش العالم من حيث القوة والنظام ، بلد ضربت للعالم خير المثل من حيث الشجاعة والتضحية التي لأحد لها والقيام بالواجب ، بما أظهرته في الحرب العالمية . وإن ما يجب أن تجعلوه نصب أعينكم في دراستكم هو بذل قصارى جهدكم بروح وطنية قوية ، في الاستفادة الحربية استفادة لأحد لها تؤوبون للوطن حامين إليه أحسن ثمراتها

ولا يجوز بخاطركم أن إرسال خمسين طالبا أمرهين

على الدولة ، ولتذكروا أن الدولة منذ زمن ليس بالبعيد لم يكن بمقدورها أن ترصد أبواب المدينة خمسين جنديا من الدهماء لوقايتها من شر بضعة لصوص .

إن الجيش الإيراني الناشئ قد وفق في مدة قصيرة في القضاء على الاضطرابات والفتن والحركات الحمراء بفضل ما أظهرتموه من الشجاعة وروح التضحية والاخلاص في القيام بالواجب . وسيم عن قريب وفي أسرع وقت تكوين القوة القومية العسكرية . وإنا لنناديكم لاتمام العمل الذي بدأنا به .

يا أبنائي الأعزاء

إنكم لتعلمون أن أرضنا ، التي تحوى منابع الثروة في أنحائها ، تحتاج إلى السكك الحديدية والمصانع ، وأن دخل البلاد محدود بانتاجها وما تخرجه أرضها . وها هي الدولة تقتطع من هذا الدخل لتنفق عليكم ، ولم تعد الدولة تأتى بهذا المال عن طريق الاستدانة من الخارج كالسابق ، تلك القروض التي كانت تعضدها عصابة صغيرة من المتآمرين على البلاد ، إنما تأتى به من عرق الفلاح

ومجهوره . لذا فانه لزاما عليكم أن تذكروا أن كل درهم تنفقونه قد اكتسبَ تحت أشعة الشمس المحرقة وأنه قد بلله عرق خير أبناء الشعب وأطيب مافي عنصره . تلقاء ذلك عليكم ببذل غاية الجهد وكل مافي الطاقة في دراستكم العسكرية ، فتعودوا إلى الوطن بأرقى مافي التسليح وتباشرون تحصينة وحمايته بأكبر قوة وأعظمها .

وجاء تأسيس المدارس الحربية الخطوة الثانية في السياسة الإنشائية للجيش ، وذلك لامداده بضباط مثقفين ومدرّبين على أحدث النظم . ونال رضا خان من البرلمان الموافقة على قانون التجنيد الإجباري فأتى له الاطمئنان على قوام الجيش .

وتمكن رضا خان بواسطة جيشه الناشئ الصغير الجرى ، في مدى الثلاثة أشهر الأخيرة من عام ١٩٢٤ ، من إخضاع ولاية خوزستان الجنوبية ، حيث توجد شركة الزيت الإيرانية الانجليزية ، ورفع الراية الإيرانية عالية على الخليج الفارسي الذي استردته إيران بعد ما حرمت منه قرنا بأكله .

الشيخ خزعل

أو ثورة خوزستان

عند ما حاولت الفرق الألمانية التركية في الحرب العظمى
تخيطم أنابيب الزيت البريطانية الممتدة من هرمس إلى عبادان ،
وكانت تمد الأسطول البريطاني بالزيت عند الخليج الفارسي ، تقدم
شيخ الحمرة ، الشيخ خزعل ، بعرض خدماته على إنجلترا واستعداداته
لحماية منطقة الزيت برجاله وأتباعه من القبائل العربية . ولقد
أفلحت مساعداته هذه اخفاق الحملة التركية الألمانية وصدها عن
تحقيق أغراضها ، فلم تكافؤه إنجلترا بالمال الوفير فحسب بل وعدته
الحكومة الانجليزية بمساعدته في الاحتفاظ باستقلاله وانفصاله عن
حكومة طهران . وجاء ضعف حكومات طهران مساعداً له على
التوسع ، في حين كان أي مظهر للقوة يلوح في طهران يلجؤه
إلى الانكماش . وأصبح يخضع لسلطانته المطلق منطقة كبيرة عن
يسار شط العرب من الحمرة إلى الأحواص .

كان يهم انجلترا كثيراً أن تطلق يدها في تلك المنطقة فعقد شيخ
الحمرة اتفاقين : الأول مع شركة الزيت الانجليزية الايرانية والثاني
مع الحكومة الانجليزية نفسها ، دون أن يعرض الأمر على
حكومة طهران أو يراجعها في ذلك . ولم تكثف انجلترا عام
١٩٠٥ أن تتعهد له بتقديم كافة المساعدات اللازمة لدفاعه عن
أراضيه في حالة أي اعتداء عليه ، بل زادت على ذلك بتعهداتها
له بالقيام بما سبق في حالة اعتداء حكومة طهران عليه أو سيرها
إلى أملاكه . وعادت انجلترا فأكدت له ما سبق من تعهداتها
له في نوفمبر سنة ١٩١٤ عند إعلان الحرب العالمية لدى انضمامه
إلى قواتها ومساعدته للحملة الانجليزية في احتلال مدينة البصرة .
فكان شيخ الحمرة الحاكم الحقيقي لشاطئ شط العرب الأيسر
والجزء الصالح لمسير السفن من نهر قارون في الأحواص حتى
الحمرة . وعلى الرغم من أن شركة الزيت الانجليزية الايرانية
كانت قد نالت امتيازاتها من حكومة طهران نفسها ، فقد كان
ضمان سير العمل في منطقة الزيت وتأمينها يحتم على تلك الشركة

ترضية سكان منطقة الآبار وزعمائهم من عشائر البختيارية ،
والقيام بنفس تلك المهمة مع صاحب المحمرة الشيخ خزعل
الذى تمر فى أراضيه الأنابيب وتقوم فيها معامل التكرير الواقعة
فى شبه جزيرة عبدان . وبلغ عدد عمال الشركة عام ١٩٢٣
حوالى العشرين ألف عامل إيراني من عشائر البختيارية وعشائر
الشيخ خزعل العربية .

وتوصل زعماء البختيارية الذين اتحدوا مع الشيخ خزعل ،
إلى إدراك أن مسير قوات رضا خان العسكرية إليهم ، إنما يؤدى
إلى نزاع بين طهران ولندن ، إذ أن منابع الزيت والمنشآت
لا بد متعرضة إلى ما يسبب خسارة أصحاب الأسهم بل وخسارة
الحكومة الانجليزية نفسها التى تمتلك جزءا كبيرا من الأسهم
وتقوم فى الوقت نفسه بالإشراف على الشركة .

وأزعجت نهضة رضا خان ، الشيخ خزعل وأقلقت مضجعه ،
وكان يعرف أن بريطانيا وإن كانت قد تعهدت له بحمايته نهى
لا تزج بنفسها فى موقف يظهر فيه عداؤها على المكشوف ،

كما أن الحكومة المركزية في طهران لن تتراجع أو تتردد في الحصول على حقوقها المقتضية .

وهب رضا خان في أواخر عام ١٩٢٤ لاسترداد حقوقه بقوة السيف فلم يبدُ ما يجعل من المحتمل وقوف انجلترا في وجهه أو دخولها في مشاكل معه . وتراءى للشيخ خزعل نفس الرأي ، فراح يطلب إلى معتمديه في لندن أن يسألوا حكومة لندن الجواب الحاسم في تلك المشكلة وأمر مساعدتها له . ولكن حكومة التاج تركت الشيخ خزعل معلقاً بين اليأس والرجاء ، فلم تشأ الحكومة البريطانية أن تأخذ على عاتقها علناً حماية الشيخ خزعل ضد حكومة إيران المتحدة بعد ما أصاب سياستها في إيران ما أصابها من الفشل السابق . مضت انجلترا تراقب مجريات الأحوال ، وعند ما رأت أن رضا خان أخذ يمشى بمجد وحزم في هذا السبيل تخلت هي بدورها عن الشيخ خزعل . وطلبت حكومة طهران من الشيخ خزعل إعلان تسليمه ، ودفع ما سبق أن تحصل عليه من الضرائب وكررت طلبها عليه مراراً ، ولكن الشيخ

كان يجيب كل مرة باجابة ماثوية ، يقصد بذلك كسب الوقت الكافي لإثارة القبائل ضد الحكومة . وأفلح بالفعل في إثارة البختيارية ، واستمالة زعيمهم أمير مجاهد ووالى بُشت كوه اليه . كما استعمل ذهب الانجليز في إثارة العشائر والدعاية للوحدة العربية ، في سبيل الوصول إلى تحقيق غايته . وأمل الشيخ إبان تلك الفترة أن تغير إنجلترا سياستها نحوه ، ولكن أحداً في إنجلترا لم يحرك ساكناً . ولما استبان له جليلة الموقف عمل على الاتصال بالعناصر العدائية في طهران ، وأخذ يحيك معها شبكة من الدسائس والمكائد ، لم يطق رضا خان عليها صبراً .

أعلن رضا خان في اكتوبر سنة ١٩٢٤ التعبئة العامة ، فتمقاطرت جميع الفرق الإيرانية من جميع النواحي ، والتقت سوياً ، وسارت صوب خوزستان ، أغنى مقاطعات إيران ، وبها منابع الزيت التي تستغلها إنجلترا بحماية أسطولها هناك .

عمد رضا خان النية على استرداد هذه المقاطعة بأي ثمن كان .
ويقع بتلك المقاطعة تماثيل وآثار عصر من أعظم العصور وأروعها في
(٧)

تاريخ إيران وهو عصر آل ساسان . كما كانت خوزستان أول مقاطعة غزاها المسلمون في الفتح العربي . فهي بذلك ذات قيمة مادية ومعنوية عظيمة للبلاد ، مما يجعل لاستردادها رنة عظيمة في الشعور القومي .

ووجه رضا خان النداء التالي إلى الجنود :

« لقد حذرت خزعل مرارا من نتيجة أعماله ولكنه أبى واستكبر ، لذا فاني أمر الجيش بأكله أن يبذل غاية جهده في القضاء على تلك العتبة الوحيدة التي تتف حجر عثرة في سبيل نهضة الجيش ، فتدعم بذلك عظمة إيران وقوتها »

وسافر رضا خان إلى إصفهان ، كي يالحق بالجيش من هناك . واجتاحت الجيوش الإيرانية مقاطعة خوزستان بأربعة فرق ، ذهبت كل فرقة منها في اتجاه خاص ، بنظامها الحديث ، فكانت هذه أكبر تعبئة مهدتها إيران الحديثة . ولم تنزل تلك الجنود الرعب بالثوار فحسب ، بل وأزالت كل شك في لندن من ناحية تصميم رضا خان وصدق عزمه ، وأظهرت لهم جدية العمل الذي يقوم

به هذا الرجل في اتحاد جميع المقاطعات ، وبناء الوحدة الإيرانية بما فيها تلك المقاطعة .

تقدمت الفرق في طريقها ، وأخذت الطائرات تلقى بمشورات كتبت بالعربية والأيرانية ، تدعوا فيها العشائر إلى التخلي عن الشيخ خزعل وتقديم طاعتهم إلى الحكومة المركزية في طهران . وأفاحت تلك الدعاية في حمل بعض العشائر العربية على التسليم ، وكان من بينها قبياتا بنى طراف وبنى حويزة التي أشعلت النار في حصن الحميدية الذي كان يقوم فيه أحد أبناء الشيخ خزعل ، الشيخ عبد الحميد ، وكان محافظا لتلك المنطقة . وتلقى رضا خان ، وهو بشيراز ، رسالة برقية من الشيخ خزعل يعلن فيها خضوعه ويطلب العفو من رضا خان ، مدعيا أنه كان ، فيما ارتكبه من الدسائس واشترك فيه من المكائد ، ضحية المحرضين ، ويتعهد له بإخلاصه الدائم للدولة واستمداحه التام للتعاون في خضوع معه ، وأن ينفذ أوامره في أنحاء المقاطعة . ثم التمس بعد قبول العفو والصفح عنه أن يتركه قائما على تلك المقاطعة وتصريف أوامر الحكومة فيها ،

مؤكدًا في الختام طاعته التامة . واتصل رضا خان برئيس أركان الحرب في طهران وطلب منه إعلام الشعب برسالة الشيخ خزعل ، ثم أرسل برده إليه يعلمه فيه أنه يعفو عنه بشرط تسليمه وإعلانه لخضوعه في الحال بلا قيد ولا شرط ، دون أن يجيبه على مطالبه الأخرى أويذكر له في رسالته شيئًا عنها .

مضت أيام عديدة دون أن تصل أي أخبار جديدة من الشيخ خزعل ، فسارع رضا خان بالسفر إلى الميدان معترضا الزحف بجنوده إلى الحمرة ، وكانت القوات الحكومية إبان ذلك قد طوقت تلك المقاطعة . وطلب رضا خان من الشيخ خزعل أن يأتي في الحال إلى مركز القيادة ويسلم نفسه طائعا مختارا ، فقبل الشيخ خزعل القيام بذلك عن طيب خاطر ، ولكنه اعتذر بأن صحته وشيخوخته لا تسمحان له بالإسراع في السير ، وعرض أن يرسل إلى رضا خان أحد أولاده ، علامة على خضوعه وتسليمه ، على أن يحضر هو بنفسه عند ما تساعده صحته على ذلك . فقبل رضا خان ما عرضه عليه الشيخ خزعل ، وحضر

ابنه حيث أعلن خضوع والده أمام جنود رضا خان الظافرة .
أخذت جنود الحكومة تتوغل بعد ذلك في مقاطعة خوزستان
وتضع يدها على أراضيها ، فسارت أولا إلى رامهورمس وناصرى .
كما سارت فرق الشمال الغربى أثناء ذلك إلى بشت كوه ، حيث
وضعت أيديها على منصور أباد وحصن الوالى ، وكان الوالى ممن
يحرضون على الثورة مع الشيخ خزعل . وفر الوالى نفسه إلى
الجزيرة . ودخل رضا خان مدينة ناصرى دخول الفاتحين ، ورحب
به الأهليون أجمل ترحيب . نصب رضا خان سرتيب فضل الله خان
شاهدى محافظا على مقاطعة خوزستان ، ثم استأنف سيره بجنوده
فسار عبر الحمرة إلى مسجد ونفتون وعبدان ، حيث تقع أهم منابع
الزيت فى إيران . وخرج الألوف من الناس لاستقباله ، وألقى مرافقوه
صعوبة شديدة فى منع ضغط الجموع عليه ، إذ كان كل يتسابق
إلى تقبيل يده . كذلك أسرع عمال شركة الزيت ، وهم عشرة
آلاف ، إلى تحية ذلك الرجل الذى لم يجبر شركة الزيت القوية على
الانحناء أمامه فحسب ، بل وأجبر السلطنة البريطانية على ذلك أيضا .

وزار رضا خان ما بقي من آثار العهد الساساني الباهر
وتماثيله ، القائمة شاهداً ودايلاً على عظمة الماضي ومجد السلف ،
وكان يتأملها في إعجاب وزهو وتقدير ، ثم واصل سفره عبر البصرة
إلى مراكز الشيعة المقدسة وإلى النجف وكر بلاء . وأهدى محافظ
البصرة حسين خان موقر الملك إلى رضا خان ، تذكاراً لزيارته ،
أسطولاً صغيراً من قوارب المطاردة في البحيرات والأنهار .
وسارع الشعب في النجف وكر بلاء إلى فرش الطرق المؤدية إلى
مزارات أهل البيت والأولياء بالسجاجيد والطنافس . وزاد الأمر على
ذلك إذ لم يتردد الأهالي عند انتهاء رضا خان من زيارته لقبر الامام
الحسين رضي الله عنه واتجاهه إلى مقام العباس ، أن ينحروا الذائح
فوق السجاجيد والطنافس . وبلغ الحماس بالأهلين مبلغاً لا يمكن وصفه ،
إذ تقدم أحدهم وألقى بولديه أمام موكب رضا خان ورفع سكينه في
يده مخاطباً رضا خان « لست أملك أيها السردار الأعظم ما أضحيه
لك فأنا أقدم لك ولدي فداء . لقد أنقذت وطننا الكبير وحررت
من الأجانب ورفعت له بين العالمين مكاناً » . وهم بذبح ولديه

لولا أن منعه رضا خان من ذلك وانزع منه مديته وقبّل ولديه ،
ثم قال في صوت تخنقه العبرات والدموع تنهمر من عينيه « انى
دواما على أتم الاستمداد لتضحية نفسى وما أملك فى سبيل
رفاهية الشعب الإيرانى » . ودخل على رضا خان ، وهو بمزار الامام
العباس ، السردار رشيد ، الذى كان قد حرض الأكراد على
الثورة فى وجه حكومة طهران ثم فرّ بعد انكساره إلى الجزيرة ،
وتقدم ، والمصحف الشريف بيمينه ، وتملق بأهداب ثوب رضا خان
وطالب منه الصفح والمغفرة فمنحهما بطل إيران إياه . وغادر رضا خان
الأماكن المقدسة إلى قصر شيرين ثم قصد كرمشاه وهمدان . وما وصل
طهران حتى أته الطائرات بيشرى أسر الشيخ خزعل ، إذ كان
الشيخ خزعل لا يأبى لاندازات حكومة إيران فراح يستغل
مالديه من ذهب الانجليز فى اثاره الناس من جديد حتى انتهى
الأمر بأسره واقبض عليه والسيرة مخفورا إلى طهران .

أخذت انجائرا أمام هذا الأمر الواقع تغير من سياستها ،
فأعلن اللورد بالفور بمجلس اللوردات فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٥ ،

أن الشيخ خزعل لم تعتبره إنجلترا يوما ما حاكما مستقلا بل كان في نظرها على الدوام خاضعا للسيادة الإيرانية ، كما أعلن أيضا من تلقاء نفسه أن الاتفاقية الإيرانية الانجليزية لسنة ١٩١٩ هي مسألة قديمة لا تتمشى مع العصر الحاضر .

أخذت إنجلترا على أثر هذا التصريح تسحب قواتها الهندية العسكرية في ميناء بوشير لحماية القنصلية البريطانية العامة ومركز التلغراف هناك ، فعاد العلم الإيراني بذلك يرفرف من جديد على كل بقعة في الخليج الفارسي .

وقامت بعد النضاء على الثورة في إقليم خوزستان ، فتن صغيرة وكبيرة مثل ثورة أقاسميتكو ، الذي فر بعد انكساره إلى الحدود التركية . ويرجع الفضل في هزيمته والقضاء على ثورته إلى الجنرال أمير عبد الله تاهماسب ، قائد القوات في الجزء الشمال الغربي من البلاد ، الذي وافى رضا خان بأخبار النصر ، والأخير سائر في إخضاع مقاطعة أذربيجان ، ووجه رضا خان نداءه على أثر ذلك إلى زعماء قبائل لورستان ، داعيا إياهم إلى التعاون

والتآلف مع إخوانهم جنود الحكومة ، وتسليم أسلحتهم القديمة
التي يعد وجودها رمزا لعهد الفوضى القديم البائد ، وأن يتركوا
مهمة الدفاع إلى جنود الحكومة حماة البلاد ، وينصرفوا إلى الأعمال
الأخرى واستغلال أراضيهم ، وإحياء مجد البلاد الضائع واستعادة
عظمة إيران وسابق سؤدها .

وعمل رضا خان على تأمين مستقبل الشعب الإيراني وإعادة
بناء ثقافته وتجديد فتوته والسير به على أسس المدنية والحضارة
التي يسير عليها الوقت الحاضر .

ورأى الشعب أن عائلة آل قاجار ما زالت تحارب
أى فكرة أو مشروع يرمى إلى نهضة البلاد ، مما يسير عليه
النظام الحاضر ، فقام قومة رجل واحد ، فى أكتوبر عام
١٩٢٥ ، يعارض ذلك البيت الذى يقف فى سبيله .

خلع آل قاجار

وتنصيب رضا خان على عرش إيران

جاهد الشعب الإيراني عام ١٩٠٦ في سبيل الحصول على الدستور والبرلمان . ولقد قام ذلك الدستور في عهد أسرة آل قاجار حسب رغبات الحاكم ومواليا لسلطانه ، فلم يكن لأحد أن يافى قوانين هذا الدستور إلا لدى اقضاء هذه الأسرة الحاكمة ، كما لم يكن إصدار مثل هذه القوانين من حق ممثلى الشعب المنتخبين بالمجلس النيابى .

واجتمع المجلس النيابى ، تحت إلهام الشعب ، ودخل أعضاؤه فى مجادلات طويلة غير مجدية . وانتهى الأمر بطلب التصويت على مشروع بخلع أسرة آل قاجار ، والعهد إلى رضا خان بإدارة دفة الأمور فى البلاد ومنحه أعلا سلطة فى الدولة ، والوكول إليه بذلك حتى تجتمع الجمعية العمومية الوطنية وتقرر شكل الحكومة النهائى .

قام أحد النواب يعلن أنه لا يتعرض لخلع الأسرة المالكة ولا يعارض في ذلك ، وأن خلعها لا يتنافى مع الدستور ، وإنما هو يتعرض للوضع الدستوري للقرار ، وهو في معارضته هذا لا يتعرض للشخصيات مطلقا ، إنما يتعرض للناحية الدستورية فقط . وعلى الرغم من قلة المعارضين فقد اتخذت تلك المسألة دوراً هاماً . وخطب فيها تقى زاده ، أحد من جاهدوا لأجل الدستور ، داعياً المجلس إلى التريث في الحل الدستوري للمشكلة . وانتهى الأمر بأخذ الأصوات ، فوافق المجلس ، بأغلبية ٨٥ صوتاً ضد ٥ أصوات ، على اقتراح خلع أسرة قاجار وإقامة رضا خان وصياً على عرش البلاد حتى تجتمع الجمعية العمومية التشريعية . وأُبرق بالخبر إلى كافة أنحاء البلاد بل وإلى كافة أنحاء العالم ، فانتهالت رسائل التهنية البرقية على رضا خان ، تلك الرسائل التي شنعها أصحابها بأطيب التمنيات ، وعجلت الحكومة بعد ذلك بإصدار مرسوم إجراء الانتخابات الجديدة .

ووصل الشاه أحمد القاجارى ببارس أخبار خامة ، وكان بها

منهم كافي ملذاته وإشباع شهواته ، فأدلى إلى الصحف الباريسية بأن خلعه لم يكن تلبية لرغبة الشعب وإنما صدر تحت ضغط القوة المسلحة . ثم عاد من جديد إلى ملذاته ومضارباته بالبورصة وسباق الخيل .

سأت حالة الشاه أحمد واشتدت حسرته ، ولم يدر أحد أ كانت حسرته بسبب فقد العرش أم فقد الممتلكاته . لقد كسب المضاربات في البورصة وواتاه الحظ فيها ، ولكنه خسر عرشه ، فلم يكن ما كسبه أيوازي ما فقد ، ولم تكن أموال البورصة لتمكنه من المقامرة لاسترداد ما خسره . ومات في باريس عام ١٩٣٠ ، فكان في ذلك أشبه بالكاردينال جاليناري الذي كتب إلى البابا قائلًا « لأن أموت في باريس خير من أن أحيأ في نابلي » .

أصدر رضا خان أمره في ٢٠ أكتوبر إلى الجنرال أمير عبد الله تانغش ، بمباشرة إخلاء قصر الشاه الرسمي الحكومي المعروف بقصر جُستاف ، وعهد إليه بتلك المهمة . فذهب

الجنرال أمير عبد الله في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم اتى إلى القصر ، وطلب إلى حارس القصر أن يذهب إلى سيده محمد حسن ميرزا الذى كان قائما شاهانيا بالبلاد أثناء غياب الشاه ، مدة ثلاث سنوات ، ويخبره بخلع الشاه وخلع أسرة قاجار ، ويطالب إليه أن يعد نفسه لمغادرة طهران في مساء اليوم نفسه . كذلك صدرت التعليمات إلى سائق سيارة محمد حسن ميرزا بإعداد السيارة للسفر . وعهد الجنرال تاهماسب إلى أحد الضباط بمرافقة السائق ومراقبته وإمداده بالزيت والبنزين اللازمين للسفر . ثم أحضر الجنرال تاهماسب ، باش اغاى الحريم وطلب إليه بشدة إخلاء جناح الحريم وعدم مس ما به من الأثاث . وجاء حارس القصر إبان ذلك بجواب ولى العهد ، معلنا موافقته على الرحيل واستعداد له ومطالبها الحكومة بجواز سفر وبنفقات السفر التى لا يمتلك منها شيئا ، فطلب الجنرال تاهماسب من الحكومة صرف ٤٠٠٠٠ تومان (حوالى ١٥ ألف جنيه انجائيزى) إلى ولى العهد . ودعى الجنرال عبد الله في الساعة الثانية والنصف مجرور ميرزا ، وزير

القصر السابق ، وحمله مسؤولية المحافظة على كل ما فى القصر من آثاث وخلافه ، وأن يخلّى جميع غرف القصر فى الحال ويختمها بالشمع الأحمر .

ذهب الجنرال بعد الانتهاء من تلك الاجراءات ، بصحبة الضابطين مرتضى خان ومحمد خان ، إلى ولى العهد المخلوع . ودخل الثلاثة إلى ولى العهد فى جناحه حيث كان قد انتهى من إعداد متاعه للسفر وجلس يتناول الشاي والحلوى ، وقد أسقط فى يده لدى رؤيتهم وتولاه الاضطراب حتى هوى فنجانة الشاي من يده وتمحطت .

ادعى ولى العهد المخلوع فقره الشديد وحاجته للمال وأن عليه ديونا يجب تسديدها ، وطالب أن يصرف له رضا خان ٤٠٠٠٠ تومان نفقات سفر له ولمرافقيه الأربعة . وطالب ولى العهد المخلوع أيضا مصاحبة عائلته معه فأجيب إلى طلبه ، كما أخبر أنه حر فى استصحاب من يشاء معه . وغادره الجنرال وصاحباة بعد أن أعلماه بأن ميعاد الرحيل هو فى العاشرة من مساء اليوم

نفسه . ورخص رضا خان بناء على تقرير الجنرال تانماسب
بصرف ٥٠٠٠ تومان فقط (حوالى ٢٠٠٠ جنيه انجليزى) إلى ولى
العهد ، كمصاريف سفر . وصادف الجنرال تانماسب بعض موظفى
القصر السابقين يدخلون على سيدهم السابق لتحيته تحية الوداع ،
وظنوا لدى رؤية الجنرال أنهم لابد ملاقوا حتفهم ، ولكن أخلاق
الجنرال الكريمة ، وهو أحد زعماء ثورة الشعب والداعين إلى مجد
إيران ، أثبت أن تمسهم بسوء .

غادر ولى العهد حريم القصر فى منتصف الساعة الحادية عشر
مساء بعد توديع من فيه ، وسار بحراسة أحد الضباط . وغادرت
سيارته طهران إلى بغداد ، عن طريق قزوین ، ورافقه فى الطريق
سيارة عسكرية أخرى ممتلئة بالجنود حتى الحدود الإيرانية وانهار
برحيل ولى العهد المخلوع محمد حسن مرزا آخر حُجّر فى بناء
أسرة حكمت إيران حوالى مائة وخمسين عاما .

ولم يمض ستة أسابيع بعد ذلك حتى تُوّج رضا خان ، شاهاً
على إيران . إذ اجتمعت الجمعية الوطنية العمومية وأدخلت ، بعد

مناقشات طويلة ، التعديلات المطلوبة على الدستور ، ونصبت

رضا خان ونسبه المذكور من بعده على عرش إيران

وطرأت مشكلة جديدة ، فخواها من يقوم بتقديم التاج إلى

الشاه . واستغرقت هذه المشكلة البسيطة مناقشات طويلة في البرلمان

حتى فصل فيها ، فكانت أشبه بزوبعة في فنجان . ونصب

رضا شاه في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ شاهاً على إيران ، واتخذ

لعائلته لقب بهلوى ، وأعلنت ولايه العهد لابنه الأكبر شاهبور

محمد رضا . وأضيف إلى قانون العائلة المالكة مادة تنص على

أن ولاية العهد تكون من نصيب الابن الأكبر للشاه ، بشرط

أن يكون من أم إيرانية الجنسية ، وإلا فلا يُباح له اعتلاء العرش .

أقيمت حفلات التتويج في شهر إبريل من السنة التالية ،

بقصر جلستان ، وشهدت العاصمة حفلات نادرة رائعة ، دعى

إليها عدد كبير من العظماء ، وكان فيهم رجال السلك السياسى ،

وبينهم سفير إنجلترا سير برسى لورين ، أقدم السفراء وعبيدهم

بإيران . وتوج أعضاء الوزارة رضا خان ، على عرش نادر شاه ،

شاهنشاهها^(١) لإيران ، فقدم وزير البلاط تيمور طاش إليه تاج
بهلولي كما قدم إليه وزير الحربية الجنرال أمير عبد الله تاهماسب
سيف الفاتح الغازي نادر شاه . وأقامت البلاد من أقصاها إلى
أدناها معالم الأفراح ابتهاجا بتولية رضا شاه بهلولي منقذ البلاد
ومعيد مجدها وباعث نهضتها ، ذلك الإيراني الحر الذي وقف جهوده
وحياهه على خدمة وطنه واسترداد عظمة إيران السالفة وتهميته
الملك اللائق بها تحت الشمس وبين أمم العالمين العظمى .

(١) الشاهنشاه : ملك الملوك ، وهو لقب إيراني ، قديم

إيران الحديثة

إن إيران الحديثة لتدين لرضا شاه بهاي بكل ما حازته من التقدم ، فقد قام هذا الرجل بضروب الإصلاح التي ارتآها لبلاده وسار بها سيراً حثيثاً ، بخطا ثابتة وطيدة ، في سبيل الحضارة والمدنية ، سالكا في طريقه مسلكاً يتحاشى فيه حدوث أى احتكاك بينه وبين الملا وأئمة الشيعة في البلاد ، فأمكنه بذلك أن يصل ببلاده إلى ما لم يستطع غيره الوصول إليه ، إذ أنشأ الدولة على المثل العليا التي ارتآها في الحياة القومية والوطنية ، وقام يربي الشعب الإيراني ويدربه ويبني مستقبله على هذه المثل السامية الآتفة الذكر . وسار به في هذا المضمار في شيء من الأناة وإثما في تقدم ثابت وطيد إلى الأمام دواما لارجعة فيه ولا تنهقر دون أن تقف في طريقة الصعوبات أو المشاكل .

ألغى رضا شاه الامتيازات الأجنبية في عام ١٩٢٨ ، تلك الامتيازات التي كان الأجانب يتمتعون بها في إيران ، وإن

وقفت انجلترا تعارض في ذلك الإلغاء . وما لبث بعد مرور وقت قصير على تولية العرش أن أصدر قانونا للعقوبات الجديدة راعى في كيفية تطبيقه طريقه لا تنفر الأجانب المقيمين بإيران ولا تثير اعتراضهم ، فكان في ذلك موقفا كل التوفيق .

وانضمت إيران إلى عصبة الأمم في عام ١٩٣٠ فكان في ذلك خطوة موفقة لحكومة الشاه . وجلس الممثلون الإيرانيون جنبا إلى جنب مع ممثلي الدول العظمى في العصبة بعد أن كانوا قبل ذلك العهد بعشر سنوات يهمل أمرهم بباريس ويتركون في غرف الانتظار دون أى عناية أو احترام . وكان أرفع الدولة سفير إيران السابق في استانبول أول ممثل لإيران بالعصبة .

وجاءت المعاهدات العديدة التي عقدتها إيران منذ اعتلاء رضا شاه العرش إلى الآن مع جيرانها ، كالروسيا وتركيا وأفغانستان والعراق معززة ، لمركزها السياسى ومثبتة له ، كما كان لها أثر محسوس كبير في تجارة البلاد ومركزها الاقتصادى . ولقد تولد بين الدول الشرقية التي أفلحت في الحصول على استقلالها وتحرير بلادها ،

نوع من العاطفة القوية ، نتيجة الجهاد للمكرة المشتركة والتفانى
فى سبيلها ، الأمر الذى يؤدى دائماً إلى توثق العلاقات المتينة
والصداقة بينها ، فزار رضا شاه تركيا عام ١٩٣٤ واستقبله بكل
أناطورك استقبالا رائعا بأنقره كان له أكبر الأثر فى تقوية
أواصر الصداقة وتحسين العلاقات بين إيران وتركيا اللتان لبثتا
على عدااء قرونا طويلة .

إن إنجلترا لتعتبر دون شك أن فى نهضة إيران تهديداً
لأملاتها فى الهند . وذلك كان الدافع الأكبر الذى دفع إنجلترا
فى السابق إلى العمل على إحباط كل نهضة فى إيران . وجاء
استرداد رضا شاه لسلطة إيران على الخليج الفارسى ضربة جديدة
لإنجلترا ، فانها قد اختطت قبل ذلك لمواصلاتها إلى الهند
طريقاً برياً يقطع بلاد العرب عبر الخليج الفارسى إلى الهند ،
وصممت على تنفيذ تلك الفكرة بالقوة ، وأن تحصن ذلك
الطريق وتقيم فيه مطاراتها . ولما كان تخليق الطائرات الأجنبية
فى جو إيران محظوراً ، فقد رأت إنجلترا اتخاذ جزيرة البحرين

بالخليج الفارسي قاعدة حرية جوية لها . وعارضت إيران هذه
الفكرة إذ أن الجزيرة المذكورة تخضع للنفوذ الإيراني ، وإن
كانت في أيام الشاه القاجاري قد استقلت بنفسها . قرر رضا شاه
تلقاء ذلك الاسراع ببناء أسطول حربي بحري فأوفد خمسين طالبا
عسكريا إلى إيطاليا لتدريبهم على أن يكونوا ضباطا بحريين ،
كما سارع بشراء مراكب حربية عند ما سمحت له مالية الدولة
بذلك .

ووقع بعد ذلك خلاف بين أفغانستان وإيران بشأن تعيين
الحدود بينهما ، وانتهى الأمر بتحكيم جنرال تركي قام بهذه المهمة
خير قيام وأعاد المياه إلى مجاريها بين الدولتين . وتضافرت دول
الشرق الأدنى ، التي انتزعت استقلالها وحريتها من بين براثن
غول الاستعمار الأوروبي ، وألفت منها جبهة قوية للوقوف في
وجه الاستعمار الأوروبي وقفة رجل واحد ، فعقد عام ١٩٣٥ الميثاق
الشرقي ، المعروف بميثاق سعد آباد ، بين إيران وتركيا وأفغانستان
ثم انضمت إليه العراق فيما بعد ، ذلك الميثاق الذي فوجئت

أوروبا به وهز سياستها ، لاسيما الانجليز منهم ، هذا شديدا . ولم تكن تلك الجبهة لتقوم على وحدة إسلامية مظهرها التعصب كما ادعته الصحف إذ ذاك ، إنما هي نتيجة ما أملت السياسة القومية ومصالحها المشتركة دون أن يكون للدين أو العقيدة دخل فيها .

أعلن رضا شاه عام ١٩٣٢ شركة الزيت الإنجليزية الإيرانية ، بواسطة حكومته ، بإلغاء الاتفاق القديم ودعاها إلى عقد اتفاق جديد مع الحكومة الإيرانية . واندفع سيرجون سيمون مندوب إنجلترا بجنييف إلى مقر العصبة ، في لهف شديد ، لدى استلامه برقية من حكومته تخبره بما أقدمت عليه حكومة إيران وتطلب منه اخطار العصبة بهذا الحادث . وغنى عن البيان أن معظم أسهم هذه الشركة تتناكح الأميرالية البحرية الإنجليزية مما يقدر قيمته بنحو ثلثمائة مليون جنيه إنجليزي . ولم تفلح إنجلترا وقد أرسلت مندوبيها الدبلوماسيين إلى جنيف وطهران في صبغ مسألة شركة الزيت بصيغة دوايسة أو حكومية ، إذ أعلنت حكومة إيران أنها إنما تعقد الاتفاق مع شركة خصوصية لا مع حكومة ،

روانه لا وجه البتة لتدخل إنجلترا . وأفاحت إيران في جعل عصبية الأمم تتنحى عن النظر في تلك المسألة ، فاضطرت شركة الزيت الانجليزية الايرانية لتقاء ذلك إلى أن تتمم اتفاقها الجديد مع الحكومة الإيرانية وتنتهى المسألة على هذا الأساس وبليهى أن هذا الاتفاق قد وضعته الحكومة الإيرانية بما يتمشى مع مصلحة البلاد المادية والأدبية .

إن مسألة الزيت الإيراني هى مسألة حياة الأسطول البريطانى فى البحار الشرقية . ومن الحق إن نقول أن فى تولى إيران حفر آبار الزيت بنفسها زعزعة اقتصادية لها قد لايعرف مداها ، كما أنها قد لاتصل إلى النظام الذى تدرج عليه شركة الزيت الانجليزية الإيرانية فى تصريف الزيت وتجارته .

وحرصت إيران على أن تظهر للعالم ثقافتها وعظمتها الفنية وماضيها ، ومحافظتها على تراثها القديم وتقاليدها العريقة ، فأقيمت معارض إيرانية للفن الإيراني فى ليننجراد ولندن . كما احتفلت إيران عام ١٩٣٤ بمرور ألف عام على مولد أعظم شعرائها ،

الفردوسى . وحج إلى إيران بهذه المناسبة ألوف من العلماء وأصدقاء الفن الايرانى ، كما احتفل بهذا العيد فى خارج إيران نفسها . وأقامت حكومة إيران تمثالا له بمدينة مشهد لهذه المناسبة . ولقد حوى شعر الفردوسى ستين ألف بيت ضمنها تاريخ إيران القديم ووصف ثقافتها وما كانت عليه من المجد والعظمة . وإن إيران الحديثة لتجد فيه أعظم شعرائها وأشهرهم قاطبة . إن صفحات هذا الكتاب الذى جعلت أساسه التاريخ السياسى ومحاربة الاستعمار لا تتسع لتفصيل مدى الخطوات التى خطتها إيران فى هذا الصدد ، وإن كان من الصعب عند الكلام على نهضة أمة الفصل بين السياسة والثقافة . لقد توفرت فى رضا شاه صفات الزعامة العظمى ووصل إلى تفهم شعبه والوصول إلى قرارة نفسه وامتلاك لبه ، فكان فى اخلاصه تصدر كلماته من القلب لتستقر فى قلوب أفراد شعبه وبين جواهرهم . وكان جد خبير بقومه بصبر بأمورهم ولم بأحوالهم ، فعرف ما يؤلم الفلاح المسكين من مواطىء قدمه ، كما عرف آلام الجنود وما ينقصهم ، وعرف

بأنه ما من أمر له حق الأمر إلا إذا كان قد تعلم في السابق كيف يسمع ويطيع ، فاستمع لشعبه قبل أن يناديه ونفذ رغباته قبل أن يطالبه .

ولقد وجه في كلمته إلى طلبة الحرية المبعوثين إلى فرنسا عام ١٩٢٣ هذه العبارة : « إنكم لتعلمون أن بلادنا التي تضم موارد الثروة الفنية ومناجمها لا تزال بحاجة إلى السكك الحديدية والمصانع » . فها انتهى رضا خان من العناية بأمر جيشه ووصل بالمستوى العسكري إلى المركز الذي كانت تصبو إليه نفسه حتى أسرع بالانصراف إلى توجيه الشعب لاستغلال منابع الثروة الغنية هذه . فبدأ في عام ١٩٢٧ بمد خط السكة الحديدية الذي يقطع إيران ممتداً من الخليج الفارسي إلى بحر قزوين . ويبلغ طول هذا الخط ٨٦٦ ميل ، وقد انتهى العمل فيه عام ١٩٣٨ وافتتحه الشاه في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٨ . وبلغت تكاليف هذا الخط أكثر من ٢٨ مليون جنية . وليس لهذا الخط أي قيمة حربية أو اقتصادية لأحد سوى الإيرانيين ، نظراً لامتداده من

الشمال إلى الجنوب . وهو في جوهره رمز كبير لمجهود الشاه في سبيل الاستقلال الوطني والتشي على الخطط الأوروبية . وما دام هذا الخط يجمع بين العاصمة ومنطقتين من أغنى مناطق البلاد فلا بد أن يجعل البلاد يوما ما أوفر ثروة وأشد اتحادا .

أسس الشاه مصانع للغزل والنسيج ومعامل للسكر ، ثم اعد مراكز للصناعات الكيميائية يستهلك الشرق نصيبا كبيرا من منتجاتها ، كما أخذت المنتجات المعدنية ومستخرجات المناجم تزداد في إيران زيادة كبيرة متواصلة على ممر الأعوام ، مستعينا بأحدث الطرق والأساليب والمعدات التي تساعد على زيادة إنتاج الأراضي ومحاصيلها . وسجل عام ١٩٣٥ فوزا للحالة الاقتصادية كبيرا بإيران ، إذ تأسس كثير من الشركات المساهمة والشركات التجارية للاستغلال الاقتصادي بالبلاد ، ولم يفت الحكومة أن ترقب بعين اليقظة والحذر جميع تلك المؤسسات حتى تتحقق من رعايتها التامة لحقوق الشعب ومصالح البلاد .

وفتتح البرلمان الإيراني دورته العاشرة في حكم الشاه

رضا خان عام ١٩٣٥ ، وأشار الشاه في خطابه إلى حسن العلاقات واستقرارها بينه وبين جميع الدول ، ونوه بصفة خاصة إلى مظاهر الصداقة بين تركيا وإيران . ثم عرض لما يرمى إلى تحقيقه في الدورة القادمة ، وألقى هذا البرنامج تفصيلاً رئيس الوزراء فوروجي في جلسة ١٨ يونيه ، ويتألف من أن يتم في بحر العام المقبل جزء كبير من الخط الحديدي ، وأن يصل إلى العاصمة قبل انتهاء الدورة . كما أن وزارة المواصلات ستقوم بإنشاء وتمهيد طرق عديدة لتسهيل على الجمهور نقل حاصلاته ومتاجره . كما قررت الحكومة إنشاء محاكم جديدة وبناء مراكز للبرق والهريد والعمل على تعميمها . وأعلنت الحكومة أنها ستوجه عناية خاصة كبيرة إلى التعليم ونشره وتحقيق هذه الأمنية العظيمة التي يحقق لها قلب رضا شاه ، وتأسيس مدارس جديدة ومعاهد للأبحاث العلمية ، وغيرها من مراكز الثقافة . والسير في تحصين البلاد وتدعيم أسس الأمن وتوطيده في أنحاء المملكة ، ثم العمل على رفع مستوى الزراعة واستغلال الأراضي والاستمرار

في السير بالمستوى الاقتصادي للبلاد في طريق التقدم باستمرار ،
والإكثار من إنشاء المصانع والمعامل لسد حاجات الوطن الاقتصادية .
ولوازمها ومدتها بكل ما في استطاعتها اخراجه مما تحتاج إليه .
وأشار رئيس الوزراء في ختام هذا البيان إلى أن حكومة الشاه
تعتد أن هذا البرنامج يمرر عن رغبات الشعب كما يعبر عن رغباتها .
ولقد قامت الحكومة بتنفيذ أغلب ما نص عليه هذا البرنامج
في السنة التالية في إخلاص وصدق باذلة في سبيل ذلك كل
ما في وسعها .

وهكذا تدين إيران في كل شيء لباعث نهضتها ومحى
مجدها وعظمتها رضا شاه ، فهو لها ككمال أناتورك لتركيا ،
وهتلر لألمانيا وموسوليني لإيطاليا ، فهم جميعهم طبقة من
الطراز الأول من الرجال الذين لامثيل لهم في القرن العشرين ،
عرفوا كيف يشقون طريق النهضة لبلادهم من جديد ، وعرفوا
كيف يستعيدون لها المجد السابق والعظمة ويسجلوا اسمها في
صفحات الخلد في أرفع مكانة وأعز منزل .



رضا شاه بهلوی وکیل اناتورك بانقره اتم ۱۹۳۴ م.

أخذ رضا خان في سبيل تأمين مستقبل بلاده يعد ولي عهد
الأمير شاهبور محمد رضا الاعداد الذي يدير له القيام بأعباء مهمة
السهر على أحوال الشعب وحكم البلاد في المستقبل ، فأرسله لتلقى
العلم بسويسرا حتى إذا أتم دراسته هناك وعاد إلى وطنه ألحقه
بالمدرسة الحربية بطهران ، تلك المدرسة التي كان يتلقى فيها
الدروس كواحد من طلابها دون ميزة أو معاملة خاصة . وكان
من نتائج خطة رضا شاه في ارتباطه مع الأمم الشرقية بروابط
الصداقة المتينة وحسن العلاقات أن خطبت الأميرة فوزية ، ربة
المغفور له الملك السابق فؤاد الأول وشقيقة حضرة صاحب
الجلالة الملك فاروق الأول ، لسمو ولي عهد إيران الأمير شاهبور
محمد رضا . وقصد سمو ولي عهد إيران في ربيع هذا العام إلى
مصر لعقد قرانه على سمو الأميرة فوزية فكان في مروره بالأقطار
الشرقية الواقعة على طريقه إلى مصر فرصة طيبة أظهرت فيها
الأقطار الشرقية الشقيقة علائم الصداقة والاخلاص والشعور
بالسامي النبيل التي تربطها جميعا برباط واحد . وكانت حفلات

عقد القران في القاهرة في مارس الماضي على أروع مايكون من
الأبهة والجمال كما تمثل في حفلات الزفاف التي قامت بطهران
في شهر إبريل روعة مجد إيران . وقد اشتركت في حفلات
الزفاف بعوث الممالك الأجنبية ، غربية وشرقية ، معربة عن
مساهمة شعوبها في الاغتياب بهذا القران بما قدمته من الهدايا
الفاخرة إلى العروسين الكريمين .

ولقد عني جلالة المغفور له الملك العالم فؤاد الأول باستدعاء
الأساتذة والمثقفات الاختصاصيات للعناية بالأميرة فوزية منذ نشأتها
آملا أن يعد منها المثل الأعلى لربّات القصور المثقفات .

وئن كان هذا القران السعيد يمثل حضارتين وثقافتين
هما أقدم ما عرف العالم وأغنى ما رأى البشر ، فهناك غم أعظم
وربح أوفر ، إذ جاء هذا القران حكما حاسما صريحا على
ما كان يروجه دعاة التفريق بين المسلمين من إقامة الفوارق الدينية
بين مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة . إن هذه الفوارق
لا تمت إلى الدين بسبب ولا تتصل بأسسه أو فروعه بأية صلة

إن هي إلا نتيجة مسائل واختلافات سياسية بحثت قامت في
عصور الإسلام الأولى . هذا وإن الأمم الشرقية أجمع لتري في
ارتباط مصر وإيران بهذا الارتباط الوثيق ، تقوية للوحدة
الشرقية في نهضتها ووقوفها في وجه غول الاستعمار .

جغرافية إيران

بلاد إيران في مجموعها جبلية لاسيما في النصف الغربي منها . ويقوم هذا الجزء على سلسلتين من الجبال القوية تمتد من بامير في وسط آسيا الى الغرب ، ثم تنحرف إلى الجنوب الغربي في قوسين ينصرفان إلى الجنوب حتى يلتما عند جبال ارارات في بلاد ارمينيا العليا بآسيا الصغرى .

وتجري سلسلة جبال إيران الشمالية في قوسين ، أحدهما وهو القوس الشرقي أو القوس الأفغاني ، ويتكون من عدد كبير من الجبال تمشي أحيانا متوازية من الشرق إلى الغرب ، من هند كوه وارتفاعه ٧٧٠٠ م الى كوه بابا وارتفاعه ٥٦٠٠ م وكوبت داغ وارتفاعه ٣٠٠٠ م وجبل بايخان وارتفاعه (١٦٠٠ م) ، حتى تنحدر إلى بحر قزوين حيث ترتفع ثانية إلى ما يترب من ٤٠٠٠ م .

وتكون سلسلة الجبال الشرقية حدودا طبيعية بين إيران وآسيا .

وكان الطورانيون الرحل ينفذون إلى إيران من منافذ جبال الشمال وممراتها . أما جبال البروس فانها تستطيل موازية للشاطئ الجنوبي لبحر قزوين ثم لسهول مازندران وإيران حيث يصل ارتفاعهما ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف من الأمتار ، متجهة إلى الغرب صوب سلسلة جبال ارمينيا .

أما سلسلة الجبال الجنوبية فتتقسم الى ثلاثة أقسام : جبال باتان والجبال البلوخية وجبال ساجروس . ويكون الجزء الشرقي من هذه السلسلة ، وهو جبال باتان ، ثلاثة مجاميع يتراوح ارتفاعها ما بين ٣٤٠٠ متر و ٥٠٠٠ مترا ، وفيها ممر خيبر الشهير . وهذا الجزء الذي أصبح اليوم في حوزة أفغانستان هو مفتاح الطريق إلى الهند .

وتبدأ سلسلة جبال ساجروس قريبا من بندر عباس متجهة إلى الشمال ومتفرعة إلى جبال عدة متوازية ، من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى ، يصل أقصى ارتفاع لها إلى أربعة آلاف من الأمتار .

أما جبال إيران الوسطى فهي قليلة الارتفاع لاتصل إلى أكثر من ١٥٠٠ متر .

وتتخلل إيران ثلاث صحار ، ففي الشمال صحراء كوير ، وفي الشرق صحراء لوت وصحراء هامند .

تتكون جبال إيران من حجر الطباشير والحجر الجيري ، إلا السلسلة الوسطى التي يغلب فيها حجر الجرانيت . ويكسوها في الشتاء الثلج الذي تصهره حرارة الصيف ، الأمر الذي مهد للخصب والنماء في مواقع كثيرة بإيران ، إلا عند الشاطئ الجنوبي على الأخص ، مما جعل سكانه يولون وجوههم شطر البحر للملاحة .

تقع إيران في المنطقة المعتدلة الشمالية ، ولكن على الرغم من إحاطة البحر بها في الشمال والجنوب فشتاؤها ممطر وصيفها جاف . كما أن وجود الجبال بها ، حاجزة بينها وبين البحر ، جعل مناخها في الداخل على درجة كبيرة من الجفاف .

وتصل درجة الحرارة صيفا في أقاليم أزربيجان وكردستان وبختيارستان وشمالي أقاليم فارس إلى ٣٥° في نهايتها العظمى ، كما قد

تصل في الشتاء إلى ٢٥° تحت الصفر . أما منطقة طهران وتبريز
وأصفهان فجوها أكثر دفئاً في الشتاء وأميل إلى الحر في الصيف .
وتشتد حرارة الصيف في إيران بولايات كاشجان ويزد وتبريز
وسستان . أما منطقة الخليج الفارسي ففي جنوبها يماثل الجو
جو بلاد الهند ، والجو في شمالها مثل جو أرض الجزيرة .
ويصيب هضاب إيران في الصيف ، لارتفاعها ، نسيم البحر ،
كما تنفحها رياح سيبريا في الشتاء كثيراً من برودتها .
وتنحصر قوى إيران المائية في ينابيع ونهيرات صغيرة
متعددة . وأشهر أنهار إيران نهر قارون الذي يقع في الجنوب .
أما حاصلات إيران الزراعية فهي القواكه والقمح والشعير
والدخان والتبغ وقصب السكر ، وتشتهر إيران بالغابات التي
تحتوي أجود أنواع الأخشاب الفاخرة .
وتربي بإيران الماشية والخيول والإبل والماعز ، كما يعيش
بها كثير من الحيوانات ذات الفراء الثمينة كالثعالب والذئبة .
ويسكن غابات مازندران القديمة النمر ، وإن كان قد أخذ
ينقرض من تلك البقاع .

سكان إيران

ولو أن الشعب الإيراني يعتبر من الشعوب التي حافظت على
كيانها الجنسي ، فإنه كغيره من الشعوب لم يخلُ من دخول عناصر
غريبة عنه في بلاده وامتزاجها به ، إذ امتزج به العرب في الجنوب ،
ثم المغول والتتار والتركان في الشمال والشرق ، ثم الأتراك في الغرب .
على أنه ما يزال في إيران إلى الآن جهات لم يتسرب إليها أي
عنصر أجنبي أو يمتزج بدماء أهلها أي دماء غريبة عنها .
وأخص تلك الجهات ولايات مازندران ولورستان . وينحدر
رضا شاه بهلوي إمبراطور إيران من إحدى القبائل في سوادكوه ،
التي حافظت محافظة تامة على نقاء دماؤها الإيرانية .

يقطن الجزء الأكبر من السكان في السهول الواقعة في
الشمال والغرب والجنوب الغربي كنف جبال المملكة ، كما يتجول
الرحّل بين الصحراوات والمرتفعات . ويجلو الرُّحّل عن الجبال إلى
الأودية والسهول في الشتاء ثم يعودون إليها في الصيف . وبدهى

أن هؤلاء الرّحل يراعون في منازلهم وفرة الأمطار وخصوبة
المراعى ، وتتوافر تلك المناطق في سفوح الجبال ومحيطها . ويتراوح
عدد البدو الرّحل في إيران بين ثلاثة وأربعة الملايين ، أى
ما يترب من ربع مجموع عدد السكان ، مما يجعل لهم خطرهم في
الشئون السياسية على البلاد . وسكان الجبال قوم حرييون
بفطرتهم .

وأهم عناصر سكان إيران تتكون من : —

(١) الأكراد : ويبلغ عددهم حوالى ستمائة ألف نسمة
يقطنون في غرب بلاد إيران ، وفي هضاب كردستان عند أرمينيا .
وهم رجال حرب أشداء .

ولما كان معظم الأكراد يسكنون على الحدود الواقعة بين
إيران وتركيا ، فقد كانت حركاتهم الثورية مصدر متاعب لسلطات
الحكومتين . كذلك كان أمر الأكراد الذين يقطنون على
حدود إيران والعراق . وأشهر ثورات الأكراد ما قاموا بها في
أعوام ١٩٢٠ ، ١٩٢٥ ، ١٩٣٠ .

ب — الأوريون : وهم يقطنون جنوبي بلاد الأكراد عند
جبال بشت كوه الواقعة على حدود الجزيرة . وهم رعاة أشداء ،
قد امتزجت الدماء العربية بدم بعض قبائلهم .

وكثيراً ما كان فقر منطقتهم ، وحدث القحط بها ، يضطرهم
إلى السطو وأعمال الساب والهب . ولم يحد من شوكتهم إلا
الحكومة الحاضرة التي أخضعتهم وألزمته حدود الطاعة والقانون .

ح — البختيارية : وتكون منهم كثرة سكان جنوبي
إيران ، ويبلغ عددهم حوالى نصف المليون تقريباً . ويتصف رجال
البختيارية بالروح الحربية ، وقد لعبوا دوراً كبيراً فى سياسة
البلاد الحديثة . وكان لثورتهام عام ١٩٠٩ شأن يذكر . وقد
تقلد كثيرون من رجالهم مناصب رفيعة فى الدولة ، فكان
وزير حربية إيران عام ١٩٣٠ منهم . وتقع فى أراضى
البختيارية منابع البترول العالمية المشهورة بجنوبي إيران مما يرفّه
من شأن سكان تلك المنطقة كثيراً .

د — الكاشغار : وهم عنصر مغولى تركى ، يرجع تاريخ سكناه

إيران إلى أيام هولاكو خان الذي أتى بهم من كاشغار .
وهم يسكنون السهل الساحلى فى جنوبى بوشير ثم جنوبى
وشرقى أصفهان . وقد لبث هذا العنصر أقوى عناصر جنوبى
إيران . وهم من أشد الرجال الحربيين ، وأكبر دلائل يقوم على
ذلك ، ثورتهم التى قاموا بها عام ١٩٢٨ .

ه — العرب : وينحدر عنصرهم من قبيلتى بنى لام
وكعب ، ويسكنون شاطئى إيران الجنوبى وبالتقرب من حدود
الجزيرة وحوض نهر قارون . وزعيم هذا العنصر هو شيخ المحمّرة
الذى كاد يكون فى أوائل هذا القرن مستقلا عن الحكومة
المركزية فى طهران ، ولبث كذلك حتى أكرهه الامبراطور رضا
شاه ، عام ١٩٢٥ ، على التسليم التام .

و — التركمان : ويقطن أغلبهم إقليم خراسان فى شمالى
بلاد إيران ، ومنهم من يقطن فى شرقى المملكة عند إقليم
سيستان . وهم رعاة خيول من الطبقة الأولى . وقد أخذت
جموعهم الآن تقصد المدن وتستقر بها . وعددهم لم يعرف أو يحصر
إلى الآن .

ل — العنصر التركي : ويوجد في أقاليم مازندران وجيلان وأذربيجان ، وأغلبه من الرُّحْل .

وترجع شهرة هذا العنصر إلى انحدر إحدى أسر إيران الحاكمة السابقة ، وهى أسرة آل قاجار ، منه .

ى — العنصر الأفغانى البلوخى : وعددهم قليل يقطن فى سيستان وبلوخستان الإيرانية . ويرجح أنهم ينحدرون من عنصر هندى إيرانى .

وكثيراً ما تضر الحكومة الإيرانية إلى استعمال الشدة معهم ، وذلك لركونهم إلى ارتكاب أعمال السطو والنهب على الحدود ، وإن كان الباعث لهم على ذلك جذب أراضيهم ، مما يدفعهم إلى عدم الاستقرار فى مكان واحد .

ويوجد بإيران ، كما يوجد بغيرها ، أقليات وإن كان لا يصح أن تقارن بمشيلاتها فى البلاد الأخرى ، إذ أن بها من الأرمن ما يقرب من الستين ألفاً ، يعيشون فى تبريز وفى أصفهان ، ويرجع عهد امتيطانهم إلى أيام الشاه عباس . ثم الذساطرة

ويقرب عددهم من العشرين ألفا ، ويسكنون عند أرميا . وبلغ
عدد النساطرة الذين كانوا يتطنون بلاد إيران قبل الحرب المظفر
ما يقرب من الستين ألفا ، لكن الأكراد أفلحوا في إرغام
أغابهم على النزوح إلى أرض الجزيرة ، كما يوجد بإيران من اليهود
ما يقرب من الأربعين ألفا ، وهم يسكنون المدن بطبيعتهم .

الدين والثقافة في إيران

ما من ريب في أن أهل إيران يحرسون كل الحرص على تمسك بالدين الإسلامي وإعلاء شأنه ، على أنهم في الوقت نفسه جد حريصين على تراث ماضيهم التاريخي المجيد نفورين به قوامين عليه . وإن فيما كتبه شعراء إيران وما دونه فلاسفتها أكبر تأكيد لهذا الرأي وخير دليل يقوم عليه . ولقد كان هذا الشعور لدى الرجل الإيراني خير دافع له على الاعتداد بقوميته ، وعنايته بأسرته وحبه لأطفاله وحرصه أن ينشئهم على ذلك الفخار القومي الخالد والمجد المتأيد ، دين النبي الأكرم وسؤدد الأكاسرة العظام .

وتعتنق كثرة أهل إيران مذهب الشيعة . ومهما يكن من أمر الخلاف في بعض المواقف بين مذهب أهل الشيعة ومذهب أهل السنة ، وهي اختلافات قامت في أكثر الأمر على السياسة ، فما من شك في أن وجود مذهب الشيعة نفسه كان

سببا في فتح باب الاجتهاد ووجود طبقة المجتهدين التي تخرج منها أئمة السنية أنفسهم ؛ إذ كانت بلاد إيران هي صاحبة الفضل في خروج التعاليم الدينية من دائرة صحراء بلاد العرب التي اشتهر أهلها بالتمسك بحرفية الكتاب ، إلى ناحية العمل بروح الكتاب والحديث . وأعظم دليل يؤيد هذا القول أن أبا حنيفة النعمان إمام أهل السنة الأعظم وأبا حامد الغزالي المتصوف الأكبر ، كانا من أهل إيران .

ويتفانى أهل إيران في تبجيل عليّ كرم الله وجهه وولديه الحسن والحسين وأهل بيت النبي الكريم ويمجدونهم أروع تمجيد . ومزاراتهم في مشهد وكر بلاء يحج إليها من أقصى البلاد مئات الألوف منهم كل عام . ولقد أسلفنا القول بأن عقد روابط المصاهرة بين البيتَيْن الملكيين الكرّيين في مصر وإيران ، قضى قضاء حاسما على التخرصات التي تذاغ عن الفروق الدينية بين أهل السنة والشيعة . وحبذا لو أقدمت الجامعة الأزهرية على عمل حاسم آخر في هذا الصدد ، بأن تفتح

باب الانقسام بها لأبناء إيران وتنظم دراسة فرق الشيعة بكلياتها .
ويقوم بحاجب أهل الشيعة في إيران الذين يبلغ عددهم حوالي
الخمسة عشرة مليونا ، مليون واحد من أهل السنة ، معظمهم من
الأكراد الذين عرفوا بتعصبهم الديني الشديد ، حتى كان يقوم
كثير من المشاحنات الدموية بين الفريقين لمجرد اختلاف الرأي
أو المذهب . وما ثورات الأكراد في وجه تركيا الكيالية وتعدد
عصيانهم عنا ببعيد .

إن أثر إيران في تاريخ الثقافة رائع مشهود ، بما سجلته آثار
امثال ناصر خسرو وسعدى وحافظ والفردوسى وبهزاد وجلال الدين
الرومى وعمر الخيام والعطار وأضرابهم . وفي شاهنامه الفردوسى
تدوين كامل لتاريخ إيران الشعبى ونواحي البطولة فيه ، يتناقل
أهل البلاد شعره ويروونه ويتغنون به وينشدونه فى كل آن ومكان .
وقد نقلت معظم كتب الفلسفة والشعر الإيرانية الى اللغات
الأوروبية المتعددة ، كما زخرت معظم متاحف العالم الكبرى
بروائع الفن الإيرانية .

وألقى رضا شاه الحجاب في بلاده بعد أن جعل من المرأة الإيرانية ربة بيت على الوجه الأكل ، وضمن لها حياة منزلية هنيئة بما أصدره من قوانين في أكتوبر سنة ١٩٣١ لاسيما في ناحية الطلاق ، دون أن يتعمد في ذلك حدود الدين . كذلك وحد الزى في إيران ، وألقى الألقاب ، فقتضى بذلك على مظهر من مظاهر التناقض والفوضى التي عرفت بها كثير من الممالك الشرقية .

وأسس الشاه جامعة في طهران عام ١٩٣٠ . ذلك إلى أنه يوالى كل عام إرسال عدد كبير من الشباب الإيراني ، قد يعدو المائة عددًا ، إلى مختلف الجامعات الأوروبية . وغنى عن البيان أنه لم يهمل أمر نشر التعليم الإلزامى في البلاد ، إذ بدأ به عام ١٩٢٨ . ولن تمضى إلا أعوام قلائل حتى تكون الأمية قد قضى عليها قضاء تامًا في إيران .

وتلعب الصحافة في إيران دورا مهما في تمهيد الرأي العام

لقبول الاصلاحات والتحسينات التي تقوم بها حكومة الشاه.
وتعمل على إدخالها بالبلاد .

ولاشك في أن الخطة الحكيمة التي تجرى عايتها حكومة
الشاه في عدم اندفاعها نحو الحضارة الأوروبية دون تبصر ، بل
أخذها بما يتفق مع تقاليد الشعب الإيراني وماضيه المجيد ، لذات
أثر كبير في سرعة تقدم البلاد ونهضتها .

الحالة الاقتصادية في إيران

إن ما قد يشاهده الإنسان الآن في عدم مسيرة إيران
تماما لمقتضيات العصر الحاضر في نواحي الاقتصاد والمواصلات
ليرجع ، دون شك ، إلى ما عانت به البلاد سنين طويلة تحت حكم
آل قاجار من إهمال هذه النواحي إهمالا تاما . على أن ما قام
به رضا شاه من خطوات سريعة حاسمة في هذه الناحية وما سار
فيه من استغلال موارد البلاد ومنابع الثروة بها وتأسيس المصانع
والمعامل في أنحاء البلاد وشق الطرق وتمهيدها وحماية الثروة الأهلية ،
ليبشر بقرب تبوء إيران المركز اللائق بها في هذه الناحية .

يقوم نظام الري في بلاد إيران ، فيما عدا النهرات والقنوات ،
على ما يسمونه بالخانات ، وهي قنوات تجرى تحت الأرض ، وهذا
النوع الأخير لا يعرفه العالم إلا في بلاد إيران . كما أن هناك
مساحات واسعة تغمرها الأمطار ، إلا أن سمك الطبقة الملحية
التي تسكتنف طبيعة الأرض في تلك الأماكن لا تجعلها صالحة
للزراعة . وتعمل حكومة الشاه على إصلاح الأراضي البور وتسهيل

نقل المحاصيل حتى تتلافى البلاد بذلك ما كان يقع في الماضي من مجاعات بسبب قلة المحصول وصعوبة نقل المواد الغذائية إلى المناطق التي كان يصيبها الجذب .

وأهم محاصيل بلاد إيران الزراعية الحبوب ، لا سيما القمح والأرز ، والأخير يزرع في مساحات كبيرة ويصدر منه إلى الخارج حيث يباع بأثمان مرتفعة في الأسواق الأجنبية . كذلك تقوم في إيران حدائق كثيرة تأتي بمحصول وفير من الفاكهة ، كالبقوق والشمش واللوز والخوخ والتفاح والكمثرى والموالح والتين والعنب والبنج والزيتون . ويجفف كثير من هذه الفواكه بعناية كبيرة ويصدر إلى الخارج . هذا إلى أن زراعة الخضراوات من الزراعات الرائجة في إيران . ويعتبر الدخان والتباك في إيران من المحاصيل التي تصدر إلى الخارج . وهناك محاولة لزراعة القطن قد برى بها ، وينتظر لها نجاح كبير . وتعتبر إيران من بلاد العالم التي تصدر الحرير ، وقد بلغ ما صدرته عام ١٩٢٦ من الحرير الخام أكثر من ١٢٠٠ طن .

ويقوم البدو الرُّحَّل من أهل إيران ، بتربية الماشية ،
وقلَّ من يمارس هذه الحرفة من أهل الأمصار وسكان القرى .
وأهم أنواعها ، الأغنام لاجومها وصوفها الذي يستعمل في صناعة
السجاجيد التي اشتهرت بها إيران منذ القدم . وبلى الأغنام
في الأهمية الماعز ثم البقر والجمال والحمر والبغال . كما يرعى كثير
من قطعان الخيل على أيدي الرُّحَّل في نواحي كثيرة من
البلاد . وأهم حيوانات الحمل في إيران الجمال والبغال ،
وتستخدم في النقل والمواصلات . وغنى عن البيان أن وسائل النقل
الحديثة كالسيارة وغيرها مما أدخلته حكومة الشاه ، إنما تهجم
الوسائل القديمة مهاجمة عنيفة تكاد تقضى عليها . ولا نختم الكلام
عن تربية المواشي في إيران دون أن ننوّه بتربية الدواجن في
بيت كل فلاح بانتاج غزير .

وتحوى بلاد إيران مساحات قليلة من الغابات التي تستعمل
أخشابها في الوقود ، ومنها ما ينتج أنواعا ثمينة من الأخشاب
كالماهوجنة وأشجار السنديان والبقس . وتنتطن في هذه الغابات

الحيوانات ذات الفراء ، وتقوم على فرائها تجارة رائجة في إيران .
وقد أصدرت حكومة إيران عام ١٩٢٧ قانونا لحماية الغابات
والأكثر منها .

وعلى الرغم من تعدد البحيرات والنهيرات داخل مملكة
إيران ، فإن الأهالي لا يمارسون صيد السمك ممارسة واضحة
إلا في الخليج الفارسي وبحر قزوين . وإنتاج الأول يسد
حاجة الأهالي الغذائية ، أما محصول الثاني فتعددت بشأه
حكومة السوفييت اتفاقية مع حكومة إيران في أكتوبر سنة
١٩٢٧ تخول لها احتكار صيده لمدة خمس وعشرين عاما . وأشهر
أنواع الأسماك في بحر قزوين البطارخ (الكافيار) ذو الشهرة
العالمية المعروفة ، وهو ذو إيراد محسوس في إيران .

أما ثروة إيران المعدنية فاهما لم تحصر بشكل واضح إلا
في السنين الأخيرة . وقد دلت الاختبارات على أن البلاد
تحتوي أنواعا كثيرة منها ، ففيها الحديد والزنك والرصاص
والفضة والكوبالت والنيكل والذهب وحجر المنجنيز والزنابق

والبلاتين . ويوجد بجانب ذلك مناجم للملح والنترات والأحجار
الجيرية والبوتاس ، كما تحوى جبال إيران محاجر غنية ، وأنواعا
من الجبس والاسمنت .

إن أبرز ناحية من نواحي ثروة إيران المعدنية البترول .
ومنابع البترول في جنوبي إيران ذات شهرة عالمية ، حتى تكوّن
لاستغلالها عام ١٨٨٩ شركة الزيت الايرانية الانجليزية برأس مال
قدره ١٣¼ مليون جنيه انكليزي ساهمت فيها الحكومة الانجليزية
نفسها بمبلغ ٧¼ مليون جنيه . وقد وصل رأس مال هذه الشركة
الآن إلى ما يقرب من ثلاثمائة مليون من الجنيهات . وتقع تلك
الآبار في أرض البختيارية ، وتقوم معامل التكرير عند عبادان
والمحمرة . ونصيب الحكومة الايرانية من إيرادات شركة الاحتكار
يعدّ من أهم موارد ميزانية الدولة . وقد أفلح رضا شاه في تعديل
شروط الاحتكار ، كما أسلفنا ذكره ، بما يعود على الدولة
بنصيب أكبر من الأرباح . ولا تقتصر سيطرة هذه الشركة
على آبار البترول في جنوبي إيران بل هي تتعداها إلى مناطق
الزيت في العراق والموصل .

وكان من مآثر نهضة رضا خان بالبلاد سعيه إلى إحياء الصناعة في إيران وبناء المصانع الحديثة . وهو يرمى بذلك إلى أن تستغنى البلاد بمنتجاتها ، دون أن تحتاج إلا إلى استيراد كميات قليلة من المصنوعات والمنتجات الأجنبية .

وتشتهر إيران منذ القدم بصناعة السجاد ، فكان طبيعيا أن تعنى الحكومة عناية فائقة بهذه الصناعة القومية الجيدة ، حتى ازدهرت وبدأت تفرغ أسواق العالم من جديد . وأهم مراكز لصناعة السجاد بإيران هي سلطان أباد وتبريز ويزد وكرمان . وقد تقدمت شركات ألمانية وأمريكية لتكوين هذه المراكز الصناعية بالمال والخبراء والأدوات اللازمة . ومما يؤثر عن عناية رضا شاه الخاصة بصناعة السجاد ، أنه أصدر أمره في عام سالف بإحراق انتاج عام كامل بسبب تفشى وباء في محصول الصوف في ذلك العام ، حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه سمعة هذه الصناعة . ولما كان برنامج الشاه الاصلاحى يشمل تأسيس المصانع الحديثة ، فقد بدأت حكومته بتأسيس مصانع

للسوف عام ١٩٢٨ في تبريز ثم في أصفهان ، كما أقامت مصنعا
للحرير في مدينة رشت ، وآخر للشاهي في مازندران عام ١٩٣١ .
وكذلك أسست مصانع لغزل الصوف والقطن في همذان وطهران
ومشهد . وكان لتحریم الحكومة على أبناء الشعب ، وبخاصة
موظفي الحكومة ، ارتداء المنسوجات التي ترد من الخارج ،
أثر كبير في رواج منتجات المصانع الوطنية التي أصبحت تنتج
ما فيه الكفاية لحاجات الشعب . وما لبثت الحكومة
بعد ذلك أن أقامت مصانع أخرى لصناعة الثياب في تبريز
وأخرى للسكر والصناعة الحديد . وينتج مصنع الحديد في سمنان
أكثر من خمسة آلاف طن يوميا . هذا عدا إقامة مولدات
القوى في مدائن كثيرة لامدادها بالنور والقوى المحركة . وستسير
حركة إقامة المصانع في إيران سيرا حثيثا وتتقدم تقدما مرضيا ملموسا .
كانت العملة في إيران حتى عام ١٩٣٠ هي الكران والتمان
وكانت تسك من الفضة . وسبب سقوط أسعار الفضة المشهور
في أسواق العالم عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٠ ، هزة عنيفة في مالية

إيران ، اضطرت الحكومة الإيرانية إزاءها إلى اتخاذ الذهب أساساً لعمالتها ، فسكّت الريال والبهلوى ، والأخير يسارى جنيتها انكيزيا تقريبا . وأفاد هذا العمل كثيرا فى إصلاح حالة النقد وثبات قيمته فى البلاد ، ومن ثم أصدرت الحكومة آخر عام ١٩٣١ ، أوراق النقد للتمامل ، واشترت ما كان موجودا منها فى البنك الانجليزى الامبراطورى لإيران . وأصبح إصدار أوراق النقد من حق البنك الأهلى الإيرانى ؛ وبذلك أتم الشاه تحرير مالية البلاد كما حرر أراضيها من قبل .

ولقد لبثت بلاد إيران حتى عام ١٨٨٩ م خالية تماما مما يصح أن يطلق عليه لفظ بنك ، اللهم إلا من بضعة محال لاستبدال العملة وصرفها .

وسمحت الحكومة عام ١٨٨٩ بإنشاء بنك انجليزى ، هو بنك إيران الامبراطورى الذى ظل أكبر بنك فى البلاد حتى عام ١٩٣٠ . وحصل هذا البنك على امتياز إصدار ورق النقد . وتلا إنشاء هذا البنك الانجليزى ، بنكا روسيا كان معروفا باسم

البنك الروسى الإيرانى ، وكانت ترعاه الحكومة الروسية إذ ذاك ، ويتولى شؤون تجارتها ومعاملاتها المالية هناك . وجاء بعد ذلك افتتاح بعض فروع للبنك العثمانى فى بلاد إيران . وكانت أعمال تلك البنوك الأجنبية قبل الحرب وقفا على خدمة الأجانب ومصالحهم لاسيما مصالح إنجلترا والروسيا الاقتصادية .

وبدهى أن حالة النواحي الاقتصادية لم تكن بخافية على رجال النهضة الإيرانية الحديثة ، فبدؤوا عام ١٩٢٥ بتأسيس بنك بهلوى للتسليف ، خاصة بالجيش ، ثم أسس البنك الأهلى الإيرانى عام ١٩٢٨ وانتدب لإدارته خبراء من الألمان . ودرج هذا البنك فى طريق التقدم والنجاح حتى أصبح بنك الدولة الرسمى .

ووضعت الحكومة الجديدة خطة ترمى بها إلى إنشاء بنوك زراعية وصناعية ، على أحدث طراز ، لخير العامل والزارع ورفاهية الشعب ، حتى اقتصرت أعمال البنوك الأجنبية على شؤون التجارة الخارجية فقط .

عرف رضا خان ما كانت عليه البلاد من رداءة الطرق وسوء حال الدروب ، وعرف فوق ذلك ما في إصلاح تلك الطرق من النفع في ترويج تجارة البلاد وسرعة المواصلات وتسهيل نقل المحاصيل وربط أجزاء المملكة بعضها ببعض ، فعمل على تمهيد الطرق لسير سيارات النقل الكبيرة وسيارات الركاب ، حتى بلغ طول بعضها أكثر من ألف كيلو متر ، وهى فى مجموعها تعدو العشرين ألفا من الكيلو مترات ، بين أوعر المسالك وأصاغر الصغور خلال الجبال . وكذلك أقام عددا كبيرا من الجسور . وكان لحركة إصلاح الطرق هذه أثر بارز فى ازدهار التجارة ، علاوة على فضلها فى تسهيل حفظ الأمن فى البلاد ، وسرعة نقل الجنود من مكان إلى آخر .

وكان مما حدا بحكومة الشاه إلى الإسراع فى إصلاح الطرق ، عدم وجود خطوط حديدية طويلة إذ ذاك ، إذ لم يكن بإيران فى ذاك الوقت إلا بضعة خطوط قليلة لا يعدو طول أكبرها ١٥٠ كم ، تبدأ من طهران إلى أمكنة قريبة . وتنبه الشاه

إلى هذه الناحية فبدأت حكومته عام ١٩٢٧ بـمد خط حديدى
يتقطع البلاد من الشمال إلى الجنوب أى من بحر قزوين إلى
الخليج الفارسى ، مبتدئاً من بندر شاه على بحر قزوين ماراً بطهران
وهمدان وفوزية أباد إلى بندر شاه بور على الخليج الفارسى .
ويبلغ طول هذا الخط ٨٦٦ ميل ، وقد انتهى العمل منه
عام ١٩٣٨ وافتتحه الشاه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، وباغت
كلفه أكثر من ٢٨ مليون جنيه انكليزى . وأول قطار
سار على هذا الخط هو القل اسمو ولى عهد إيران الأمير
الامبراطورى محمد رضا شاه وعروسه صاحبة السمو الامبراطورى
الأميرة فوزية .

لم يتردد رضا شاه فى إدخال وسائل النقل والمواصلات
الحديثة فى بلاده ، فكان طبيعياً أن يبنى بأمر الطيران ، لا سيما
فى بلاد واسعة مترامية الأطراف مثل بلاد إيران . فالطائرة
تقطع المسافة بين طهران وبوشير فى سبع ساعات فى حين تقطع
السيارة نفس المسافة فى أسبوعين تقريباً ، وتستغرق القوافل سبعة

أسابيع في قطعها . ومنحت حكومة إيران عام ١٩٢٧ شركة
يونكر الألمانية للطيران حق إنشاء أربعة خطوط جوية للركاب
بينها كالآتي : —

الأول : وطوله ٥٧٨ كم بين طهران وهمدان وكرمنشاه
وقصر شيرين (إلى بغداد والقاهرة) .

الثاني : وطوله ١٠٠٠ كم بين طهران وأصفهان وشيراز
وبوشير (إلى كرتشي وبومباي) .

الثالث : وطوله ٨٠٠ كم بين طهران ومشهد (إلى
هرات وكابل) .

الرابع : وطوله ٣٠٠ كم بين طهران ورشت (إلى باكو) .
وموانئ إيران في الشمال ، أي الواقعة على بحر قزوين
كبندر شاء ورشت ، في حالة جيدة ، تصلح لرسو السفن وسير
التجارة . أما في الجنوب فلم تكن الموانئ على حالة مرضية ، فأخذت
حكومة الشاه توجه إليها فائق عنايتها لاسيما مينائي بندر شاهبور
وبوشير على الخليج الفارسي .

وأول ما عرفت إيران البرق في عام ١٨٦٤ ، إذ أنشأ
الانجليز خطاً تلغرافياً يهبر إيران ليربطوا لندن ببلاد الهند مستعمرة
التاج البريطانية . ولبت هذا الخط مع بضعة خطوط أخرى صغيرة
حتى أول ابريل سنة ١٩٣١ احتكرا لشركة تلغراف الهند الأوروبية
الانجليزية . وما تزال أهم الخطوط البرقية في إيران ومركز اتصالها
في الخليج الفارسي ، التي تتبع تلك الشركة ، لها خطوطها
الكبرى . كذلك أقام الروس فيما مضى خطوطا برقية عدة
في شمالي البلاد . هذا إلى أن الحكومة الإيرانية الحالية قد
أنشأت أكثر من ستة آلاف كيلو متر من الخطوط البرقية .
وأستت الحكومة الإيرانية محطات لاسلكية عام ١٩٣٠ ،
كان لها فائدتها العظمى في سرعة ربط أجزاء المملكة بعضها
ببعض . وتحتكر النليفون في إيران شركة وطنية « شركة
تليفون إيران المساهمة » ، وتشرف عليها الحكومة الإيرانية
إشرافاً تاماً . وقد أبدت تلك الشركة على حداثة عهدا
نشاطاً كبيراً ، إذ مدت شبكات تليفونية عدة في مدن إيران
جميعها وبلدانها .

ويملك الروس في الشمال بضعة خطوط تليفونية صغيرة خاصة ،
كما تملك شركة الزيت الإيرانية الانكليزية في الجنوب خطا
تليفونيا خاصا يبلغ طوله ٢٤٠ ك م . ومما لاشك فيه أن إقامة
شباك البرق والتليفون في إيران وزويد البلاد بها ، قد جنت
منه تجارة البلاد مزايا عدة وفوائد جليلة عظيمة .

لقد أسلفنا القول في أن تيسير سبل المواصلات قد أفاد
الحركة التجارية في بلاد إيران فائدة عظيمة ، وبدهى أن تلك
الفائدة تعم تجارة البلاد في أسواقها الداخلية والخارجية . ومركز
التاجر في إيران يحاط بالاحترام والتقدير ، ومما زاد في تثبيت
مركزه هناك التفات حكومة البلاد إلى إصلاح الغرف التجارية
ونشرها ورعايتها . ويرجع تقدير الحكومة والشعب للتاجر
الإيراني إلى الدور الاجتماعي الذي يقوم به ؛ إذ يقوم بدور
الوسيط بين الأرياف والمدن وبين الوطن والخارج ، فهو باستيراده
خير منتجات أوروبا إنما يساعد في تقدم البلاد في الناحية

الاجتماعية . وتقوم التجارات الكبرى وحركتها في إيران في مدنها المهمة الكبرى .

تقوم تجارة أسواق إيران الداخلية على جمع المحاصيل والبضائع التي يراد تصديرها في مراكز التجارة وعرضها للمبادلة مع البضائع الأوروبية ، تلك البضائع التي لا تسمح حكومة البلاد إلا باستيراد ما تحتاج إليه البلاد ولا تنتجه . ويتمثل في نقل المحاصيل والبضائع إلى مراكز التجارة وسائل النقل القديمة والحديثة ، فترى البغال والجمال محملة تسير جانب السيارة الحديثة . وأهم مراكز التجارة في إيران البلاد هي طهران وتبريز وهمدان وأصفهان ورشت وشيراز وبوشير . وتختص الأسواق العامة الكبرى في كل مدينة بتجارات معينة ، ففي مشهد المدينة المقدسة تتركز تجارة الصوف ، وفي تبريز تقوم تجارة الفواكه الجففة والفراء ، كما تختص أسواق أصفهان بتجارة المعادن والأكياس والبفطة ، في حين تمتد تبريز همذان مركز تجارة الجلود وجوز العفص . وفي شيراز أسواق مصنوعات

الفضة المشهورة . أما مراكز تجارة السجاد الإيراني المشهور ففي
كرمان وشيراز وقاشان واستراباد وهمدان وتبريز وطهران . والمدائن
السائمة الذكر هي المسموح فيها باقامة أسواق بيع المستوردات
الأوروبية التي تسمح الحكومة باستيرادها .

ولا تصدر إيران من المصنوعات إلا السجاجيد ، وفيما عدا
ذلك فكل صادراتها محاصيل ومنتجات أولية ، أما واردتها
فالجزء الأعظم منها المصنوعات . وأعظم ما تصدره بلاد إيران هو
الزيت المعدني (النفط) الذي تستخرجه شركة الزيت الإيرانية
الانكليزية . وتكوّن صادرات الزيت أكثر من نصف
صادرات البلاد ، ويلى ذلك في المنزلة السجاجيد ، ثم يأتي
بعد ذلك في الصادرات المواد الأولية وأهمها الصوف والفأكة
الجفنة والحرير وشرانقه .

أما أهم ما تستورده بلاد إيران فهو المنسوجات القطنية
والسكر والشاي ، وهي في مجموعها تكوّن أكثر من نصف
الواردات ، ثم يأتي بعد ذلك المنتجات الآلية ، ثم الورق والألوان
والمصنوعات الخزفية والسلع الصغيرة .

وأسواق المستوردات الأوروبية تنفع أهمها في كرمنشاه وبوشير
جنوبا ، ثم في طهران وبهلولى وتبريز شمالا .

وأهم الممالك التى تتعامل تجاريا مع إيران هى بريطانيا العظمى
ثم روسيا ثم الهند البريطانية ثم مصر ثم ألمانيا ثم فرنسا ثم
الولايات المتحدة الأمريكية ثم بلجيكا ثم العراق فايطاليا فتركيا
فأفغانستان .

وكانت الهند البريطانية تسيطر ، فى السنين التالية للحرب
العظمى ، على تجارة بلاد إيران وأسواقها كافة ، وما لبثت أن
سارت أمور العالم سيرها الطبيعى فأخذت سيطرة الهند البريطانية
على أسواق إيران تقل تدريجا . وكان أهم ما تورده إنجلترا
المنسوجات والمصنوعات المعدنية والسيارات والآلات ، كما كانت
واردات إيران وقفا على الهند وبريطانيا فقط . ولقد ساعد على
ذلك عدم صفاء الجو السياسى بين العراق وإيران إذ ذاك وما كان
يتسبب عنه من عرقلة النقل التجارى . وفقدت إنجلترا فى مايو
سنة ١٩٢٨ امتيازاتها الجمركية هناك ، فكان فى ذلك ضربة قاضية

على مركزها التجاري في واردات إيران ؛ إذ ما لبثت وارداتها
أن سقطت نسبتها من ٦ / ٤١ .٪ إلى ٣ / ٢٧ .٪ عام
١٩٢٨ / ١٩٢٩ .

أما واردات إيران من روسيا فقد لبثت نسبتها حتى
عام ١٩٢٩ لا تمدو ٣٧ .٪ . فلما عقدت معاهدة تجارية بين
البلدين في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٣١ ارتفعت بعدها نسبة
صادرات روسيا إلى إيران بما يقرب من ٧٠ .٪ . وفضلا عن
أن معظم الأراضي المنتجة بإيران هي الأقاليم الشمالية بها ، فإن
بلاد الاتحاد السوفيتي تعتبر معبر الصادرات الإيرانية إلى أوروبا .
وبالرغم مما قد يمتاز التبادل التجاري بين بلاد الاتحاد السوفيتي
وببلاد إيران من مشاكل وأزمات ، فمما لا جدال فيه أن تجارة روسيا
تحتل مركزا ممتازا في أسواق إيران حتى لتكاد بعض الواردات
الإيرانية تكون احتكارا لها .

نستنبط مما سبق ذكره أن واردات إيران يكاد يكون
٩٠ .٪ منها رققا على بلاد الاتحاد السوفيتي وبريطانيا العظمى ،

وما بقي فهو من نصيب الممالك الأخرى . وتورد فرنسا إلى إيران المنسوجات الدقيقة ، وألمانيا الآلات والأصباغ والسلع ، وبلجيكا السكر والمنسوجات الصوفية ، وإيطاليا المنسوجات ، والولايات المتحدة السيارات وحديد الانشاءات . أما تجارة بلاد إيران مع جاراتها كالعراق وتركيا وبلاد الأفغان ، فلا تعدو تبادل المحاصيل . وللعراق أهميتها التجارية الخاصة بالنسبة لتجارة إيران إذ هي ممرها إلى البحر الأبيض المتوسط .

وخطت الحكومة الإيرانية عام ١٩٢٨ خطوات موفقة مجيدة في تنظيم الحركة التجارية في البلاد ، فأصدرت تشريعا لتنظيم الجمارك والغرف التجارية ، وغنى عن البيان أن مركز إيران التجاري يلعب دورا خطيرا في سياسة البلاد الخارجية ؛ إذ كان ذلك حيننا من الدهر من أسباب تنافس النفوذ بين الروسى والانكليزى في البلاد أمدا طويلا . كذلك اهتم المجلس النيابى الإيرانى بادخال التحسينات التى تزيد فى إنتاج البلاد وتقوى نواحيها الاقتصادية ، وذلك فى سبيل القضاء على سياسة

الاحتكار الاقتصادي التي كانت تجري عليها دول الغرب في إيران . وجاء تنظيم الحكومة الإيرانية لجمارك البلاد ووضع يدها عليها ، وما شرعته للتجارة عام ١٩٣١ أكبر كفيل لاحتكار التجارة والصناعة بإيران في أيدي أبنائها وحكومتها .

إن نهضة إيران الحديثة قد بان أثرها محسوسا في الشرق بل في العالم أجمع . وها هو ذا رضا شاه بهلوى يسير ببلادته وشعبه إلى ذرى المجد بخطوات ثابتة مطمئنة ، وكل إيرانيّ نفور بتراث الماضى المجيد ، مجدّ في حاضره الزاهر ، غارس أحسن الغرس المستقبل السعيد .

بحث في الشيعة

بقلم الأستاذ محمد حسن الأعظمي

السكرتير العام لجماعة الإخوة الإسلامية

قدم صديقي الأستاذ الساداتي كتابه القريد عن نهضة إيران في عهد حضرة صاحب الجلالة الامبراطوري رضا شاه بهلوي منشئ إيران الحديثة ، وهو بهذا المؤلف النافع يؤدي لقراء العربية وللأخوة الإسلامية خدمة نذكرها وسيدكرها التاريخ معنا بالشكر والاعتراف بالجميل . وقد تناول في حديثه عن إيران ثقافتها ودينها ، فكان لا بد له عند بيان المعتقدات من إيضاح مذهب الشيعة الذي تدين به الأغلبية في إيران . ولكن الأستاذ ، وله الشكر ، أحسن الظن بي وقلدني شرف القيام بتقديم عجالة في مذهب الشيعة ، ونحن في هذا العصر أحوج

ما نكون الى أن يعرف بعضنا آراء بعض وعلى ضوء المعرفة
يقوى الاتصال ويدوم الاخاء . وأحب أن يعرف قارىء هذا
البحث أننى وإن كنت قد نلت شرف الحصول على الشهادة
المالية من الجامعة الأزهرية فى مذهب الامام الأعظم
أبى حنيفة النعمان فأنى قبل قدومى إلى مصر من بلاد الهند كنت
شغوفا بالاطلاع على جميع المذاهب الاسلامية خاصة ودراسة
الديانات الأخرى عامة . وذلك لأن المناظرات الدينية فى بلاد
الهند سوقا رائجة ولا تنقطع مواسمها طول العام ، ولابد للمناظر من معرفة
الحجج والامام بما عند الآخرين . فأناح لى ذلك أننى درست
أصول جميع النحل الاسلامية من سنية وشيعية ، بما يتفرع عنهما
من مذاهب ومقالات مختلفة ، ومن بينها مذهب الشيعة الامامية
أو الاثنا عشرية اتى نحن بصدد الحديث عنها . وما كان شئ
يحزننى ويهيج بلابل صدرى سوى هذه الفرق المتعددة المتناحرة فى
الاسلام وكل منها ينتسب إليه ويستدل به على معتقده ، وكل منها
ينطق بالشهادتين ويدين بالشعائر والأركان من صلاة وزكاة وصيام

وحج وما يتبع ذلك من معاملات وحدود وآداب . ثم أراهم بعد ذلك يتبارون في النضال ويحاول كل فريق أن يفنى الفريق الآخر ، فإذا لم يستطع السبيل إلى ذلك عمد إلى التفسيق والتجريح ثم إلى التشهير والتكفير . بل رأيت أن المسلمين يلقون من إخوانهم أضعاف ما يلقون من أعدائهم من الأذى والاضطهاد والقتل بينما أرى الطوائف الأخرى ، وإن تباينت في كثير من أصولها وتشعبت في أكثر فروعها لا يتنعمها ذلك من ضم صفوفها واتحاد كلمتها ، في حين أن كثيرا منها يدين بعقائد التفریق والتمييز بين الطبقات ، كما هو معروف في الديانة الهندوكية ، ورغم ذلك فهم يتبادلون كل معونة في إدراك خيرات الحياة والاستمتاع بطيبات الوجود ، من بذل وتضحية وإيثار ، حتى أدركوا من أسباب النجاح مبلغا يُحسدون عليه في التقدم ديبا وماديا وصناعيا وتجاريا ، وبالجملة علما وعملا ، بينما ترى الممارك الدموية تفتك بالآلوف من المسلمين في بعض البلاد تلبية لدعوة التفریق التي ينشرها الجهال بالحقائق وبأخطار العواقب . وفكرت في أسباب هذا النضال وهذه الحرب التي لا يخمد سعيها فإذا بها

لأشياء ، فالكل يدين بالاسلام ويتوجه بقلبه إلى الله وبوجهه إلى القبلة . وهذه التي سموها فروقا ليست ترجع في الحقيقة إلا لأحد أمرين ، إما لعوامل سياسية قديمة تأثرت بها الأجيال وتوارثها الأعقاب وإما لآراء فقهية وهي قائمة حتى اليوم وليس فيها ما يدعو إلى إثارة حرب أو سفك قطرة من دم زكي . فالحنفية والشافعية مثلا في المعهد الواحد يتبادلون التعلم والتعليم وقد ترى المالكي تلميذا للحنبلي والحنفي تلميذا للشافعي دون أن يؤثر الخلاف المذهبي في صفاء النفوس وارتباط القلوب . وأقوى ظاهرة للخلاف ما نراه بين السنة والشيعة فقد تباعدوا وطال عايمهم الأمد في هجر بعضهم لبعض وتوالت على ذلك عصور ليست بالقليلة فكان في الأمر متسع للأراجيف المختلفة والتوجيهات الكاذبة والدعايات الفارغة الجوفاء . وأخذ كل منهم يعزو إلى أخيه أقوالا أبعد في التصور مما كان يشاع في الأساطير ، أليس من العجب أن يظن إنسان بإنسان أن له ذنبا كأذناب البقر أو أن يعتقد إنسان في إنسان أنه نجس العين بينما يحكم بطهارة أكثر الحيوانات من دوابها

وأنعامها وطيورها وحياتها ، ثم هل يصدق إنسان أن جماعة من المسلمين يعزى إليهم القول بأن جبريل الأمين من رب العالمين يخطئ الطريق ويضل السبيل ويجهل العنوان فيسلم الرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم بدل على ، والمصحف في كل بلاد العالم يقول « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » ثم يقول « محمد رسول الله » . ولكن فقد التواصل وانعدام التقارب من شأنه أن يؤدي إلى مثل هذا العبث المنكر

الاسلام أولا دين التسامح ، ومنذ نشأ الاسلام إلى اليوم عرف تسامحه لا مع الفروع من شجرته والمذاهب من ملته بل مع الخارجين عنه والتابعين لغيره من الأديان . والاسلام الذي يأمر بحسن المعاملة مع أهل الذمة والعمل على تأليف القلوب وحسن المجاملة مع المستأمنين ، الاسلام الذي كان من أول يوم يبدل أسباب الحبة والاخاء بين البشر لا يمكن أن يأذن للمسلمين أن يحفر بعضهم خنادق لبعض لأن هذا أحب فلانا وذاك مال إلى

فلان . وإذا كان الاسلام هو واضع الحجر الأول في بناء حرية الفكر فحدير به في هذا العصر أن يكون أول من يرفع علم هذه الحرية ، وقد اتسع صدره لألوف من الآراء نشرها أصحابها في مختلف ممالك العالم الاسلامي ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل . فحدير بالمسلمين أن يذكروا هذا التراث المجيد تراث التسامح والحرية والعمل على جمع الكلمة بدلا من تمزيقها .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أدى رسالته للعالمين وأقام الحجة لله على الخلق أجمعين ، فالاسلام يبدأ منه ويتم به وتنتهى قواعده بما أوضعه قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى وبهذا ينادى القرآن « اليوم أكملت لكم دينكم » . وكان على أبناء الملة وأهل القبلة أن يعلموا ذلك من صريح هذا البيان الذي يقول لهم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ولكن الذي يدمى الكبود ويذيب نياط القلوب أنهم اتوا عن هذه الحجة فوقت بينهم الخصومات الأليمة ، وليس بعيدا منا مايقع بين

العلويين والدروز والمسلمين الآخرين في جبال الشام أو بين الشافعية والعلوية في بلاد اندونيسيا وبين الأكراد والشيعة . وإني أكتب هذه السطور وأقرأ بين يديّ في برقيات الصحف أنباء المقاتل والاعتداءات بين السنين والشيعة من مسلمي الهند . وقد أنبأتنا الصحف الهندية من عهد قريب عن عشرات الألوف منهم تحت التحقيق في السجون وقتل مئات منهم . فليعلم المسلمون أن هنالك شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تلك الشجرة هي الاسلام وغارسها محمد عليه الصلاة والسلام وهم جميعا مهما اختلفوا فروع لهذه الشجرة ، فاذا تفرقت الفروع صوّحت بها العواصف حتى تسقط الأزهار والأوراق . فليس للدين الاسلامي غاية في هذه الدنيا سوى المحبة التي يدركون بها رضوان الله في الدار الآجلة .

إني استأنادي بإلغاء الفرق فليس في مقدور أحد الآن أن يفكر في محوها وإلغائها ولكننا نقول إنه إذا كان في الإمكان الجمع بين أبناء الديانات المختلفة في أعمال تتعلق

بالمصلحة العامة وإقامة دعائم الاتحاد بينهم باسم الوطنية .
أفلا يمكن الجمع بين الفرق المختلفة من المسلمين باسم الوحدة
الدينية ؟ أريد إذاً أن يتحرر الناس من قيود الأحقاد
القديمة وأن يحسنوا المعاملة والمجاملة والتعاون فيما بينهم ،
وفي مقدور كل منهم بعد ذلك أن يبين لأخيه وجه الصواب
ان كان على خطأ أو الحق ان كان على الباطل ، وضرورة العقل
تحكم بأنه إذا كان أحد الأخوين على خطأ وجب على أخيه
أن ينهض له بالنصح لا بالحرب . فعند ما تصفو القلوب ويتوفر
حسن النية يصبح التفاهم ميسوراً والنجاح مقدوراً . ومما يدعو إلى
الغبطة والارتياح أن نرى في الأزهر الشريف جميع المذاهب
السنية في صعيد واحد يتناولون العلوم على مائدة واحدة دون أن
تقوم في نفوسهم داعية الحقد أو تدب بينهم عقارب البغضاء . ومن
الدلائل على تحرّر الهيئات العلمية الدينية في مصر أنهم في بعض فروع
الأحكام الشرعية عمدوا إلى الاستفادة من المذاهب الأخرى
في تغيير اللوائح والقوانين في المحاكم الشرعية لما رأوا أن تطبيق

نصوص المذاهب المعمول بها يؤدي إلى إحراج حياة الاسرة والتضييق على المجتمع بينما الدين يسر لاعسر فيه . فأى ميدان للحرية أرحب من هذا الميدان وأى دليل على النهضة العلمية فى الأزهر أسطع من هذا الدليل ؟ . وعند ما كنت أفكر فى الوسائل التى يمكن بها جمع الحكمة وضم الصفوف ونشر لواء الاخاء خفاقا على ربوع الاسلام ، رأيت بوادر هذه الأمنية وبشائر هذا العمل السعيد تطالعنا بيمين هذه المصاهرة الكريمة بين أعظم أسرتين ملكيتين فى الشرق ، مصر وإيران ولاغرو فعند ما يتحد الملوك تتحد الممالك . كان هذا القران السعيد بين أسرة جلالة الملك فاروق وأسرة جلالة الامبراطور رضا شاه أعظم خطوة واسعة وأبلغ خطبة عالية وأعلى صوت ارتفع من فوق منبر الاسلام ينادى بالاخوة والترابط . ومن ذلك اليوم رأينا هذا الاخاء وقد أصبح عملا لا كلاما وحقيقة لا خيالا وإيماننا لاظنا . ثم أقول ومن ذلك اليوم ترددت فى سريرتى أسى معانى الأكابر لجلالة ملكك مصر وجلالة شاه إيران وكذلك لحضرة

الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بما ساهم في هذا القرآن المبارك من أياديه الدينية البيضاء ووقف في حفلات الاستقبال وفي عمدة القرآن موقفا مشكورا تردد في مصر والهند صداه وفي الشرق وإيران نداءه . وحبذا لو جاء ذلك اليوم الذي يتاح فيه لجميع المسلمين على اختلاف فرقهم أن يلتحقوا بالأزهر ليتبادل الجميع أسباب الرقي العلمى والخلقى ويعظم التفاهم وتقوى الصفوف بانضمامها ، فليست الفائدة من هذا ترجع إلى الاخاء وحده بل هو من أكبر دعائم السلام العام التى سيجنى العالم ثمرتها الطيبة غدا . ولقد كانت الأخوة الاسلامية من أعظم الواجبات الدينية بعد عبادة الله وقد أقام على ذلك المسلمون واستمسكوا بهراه في عهد الرسول الكريم ومضوا على ذلك في أيام الخلفاء الراشدين . ولما بدأت الخصومة والاضطهاد بين بنى أمية وأهل البيت اشتد النكير للمسلمين وأعملوا المحافظة على شعائرهم وكيانهم وعزتهم وتبددوا في الأنحاء وكثرت الخلافات والدعايات وتفننوا في التفسير والتغيير وأخذ بعضهم يرمى بعضا بكل سهم يصيب الصميم . وأعوج

الكثير عن الصراط المستقيم إلا من رحم الله . وانتهى الناس في
عصورهم الأخيرة إلى حالة تفتت أفلاذ الصخور فما ترى فرقة
من فرق الاسلام إلا وهى مكفرة غيرها . وقد استغل المبشرون
وأبالسة الاحاد هذه الثغور المفتحة أمامهم فنفذوا منها إلى القلب
ودخلوا على المسامين في حصونهم المنيعه فرموهم بمختلف الشطايا
وغمروهم بكل أنواع الدعايات المذهبية . وقد نظموا جيشهم على أساس
اختلافنا وأقاموا جماعتهم على أنقاض وحدتنا وبقينا حائرين نلتمس
الخلاص ونطاب النجاة ، ولونجونا من أنفسنا لما خشينا من غيرنا . وقد
رأيت كما بينت آنفا أن سبب الخلاف ليس أمرا ذا بال خصوصا بين
السنية والشيعة . وكما قلت قبل الآن أعيد القول بآنى لا أستطيع
طمس معالم الفرق والسكنى ، أريد أن يمد كل منها يده إلى الآخر
على أساس أن لكل مسلم ثم لكل إنسان بهد ذلك مذهبه مادام لا يضر
الآخرين . بهذا أمر الاسلام وبهذا تقتضى ضرورة العصر وبهذا
تتموم الحياة فى الشرق وبهذا أيضا يبتسم النصر من جديد .
ولما كانت الأفاويل التى ينسب كثير منها الى الشيعة غير صحيح

فقد أردت بهذه البيانات التالية أن أجمل شيئاً منها لايضاح
أنها ليست بغريبة في كثير منها عن الخلافات المذهبية العادية ،
ولسبب آخر وهو أن يعرف أهل السنة شيئاً عن أحوال إخوانهم
المسلمين في البلاد النائية عنهم ، وخصوصاً بعد هذه المصاهرة
السعيدة والقربة المتينة ، حتى لا يستغرب أمر يحدث مما قد يعرض
للإنسان إذا رأى ما يخالف مذهبه وهو لا يدري مصدره وحقيقته .
مثالى على ذلك أننا عند أداء فريضة الجمعة قد نلاحظ أن
بعض الفرق كالشيعة الامامية لا يؤدونها . وللنظرة الأولى يتبادر
إلينا أن هذا التارك للجمعة مخالف لفريضة هي من أعظم الفرائض
وأجلها ، وبذلك تقع في سوء الظن الذي هو جرثومة الجرائم كلها ،
فاذا ما عرفت السبب وهو أن من شروط صحة الجمعة عندهم
قيام الامام المعصوم من أهل البيت تبيننا أن ترك الجمعة لم يكن
عن عمد أو تقصير وإنما كان لشبهة مذهبية قد يوجد مثلاً عند
غيرهم ، ففي أحد القولين مثلاً عند الحنفية اشتراط المصر لصلاة
الجمعة وقد يتركها الحنفى بناء على هذا الرأي من مذهبه فلا يعد

مقتصرا وأمثال ذلك كثير وله من الشواهد ألف نظير . والسبب الأول والأخير في تقديم هذا البيان هو أننا فكرنا مع جماعة من إخوان مخلصين في تأليف جماعة للأخوة الإسلامية من جميع البلاد الإسلامية على اختلاف مذاهبها ومشاربها ، واشترطنا أن يكون أفرادها من التابعين لمذاهب لا تخالف نص الكتاب أو صريح السنة وإجماع الأمة . وقد وجدنا في مصر ميدانا رحيباً وحقلًا خصيباً فان العدد من النزلاء وفير في هذه البلاد . وقد تسامعت أقطار المشرق والمغرب بهذه الجماعة فاستجابوا لدعائها وأصغوا إلى ندائها ، وأعضاؤها الآن يمثلون ستاً وأربعين أمة . ومن مقاصدها : تعارف المسلمين على اختلاف بلادهم ، وتذليل المسائل المذهبية المختلف فيها بينهم وتجنب الخوض فيها والدفاع عن عقائد الإسلام ، والتقريب بين مناهج التعليم الديني والخلقي في الأقطار الإسلامية ، والتعاون الأدبي والمادي بين الطلبة ، والاتصال بعظماء المسلمين للتشاور فيما يتعلق بنهضة المسلمين . وإلقاء محاضرات متنوعة ، وإرسال وفود إلى البلاد الإسلامية .

وإنشاء مسكن للطلبة تسود فيه التربية الإسلامية ، والسعى في دخول الطلبة إلى معاهد مصر والمعاهد الأخرى ، والدعوة إلى مؤتمرات عامة ، وإنشاء فروع للجماعة في كل بلاد إسلامية ، وإجابة كل من يستفسر الجماعة عما يتعلق بالإسلام والمسلمين في مختلف الأقطار بدون تقييد بلغة خاصة ، مع العلم بأن لغة التفاهم بين أعضاء الجماعة اللغة العربية الفصيحة ، ومركزها قبة الغورى بمصر . وقد أصدرت الجماعة على لسان أعضائها محاضرات ومقالات يعرفون بها إخوانهم بما عليه بلادهم المختلفة من أحوال وعادات حتى يتم التعارف وتنمو ثروة الثقافة وتشتد أواصر الائتلاف . وهذا الكتاب واحد من تلك الكتب التى يضعها أحد أعضائها مدفوعين إلى ذلك بواجب الثقافة الإسلامية التى تعد الأخوة أعظم وأجل وأسمى ثمرة فى روضتها المباركة . وسيوالى رجال الجماعة إصدار مؤلفاتهم عن مختلف الأقطار الإسلامية وأبطالها وزعمائها وستكون البحوث التاريخية الأدبية الحافلة ضمن موضوعاتها المتنوعة .

وقد أردت ههنا من جانبي أن ألقى شعاعاً متواضعاً على
مذهب الشيعة أمام من لا يعرفونه ، لأن الانسان قد يجهل ذرة
فيظنها جبلاً ضخماً حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً . وما وقعت
الحرب والفتن إلا نتيجة لعدم المعرفة بالحقائق وتضخيم الخلافات
البسيطة التي قد لا تعدو آراء يهون أمرها ويتيسر الخلاص منها .
فمسي أن نوفق بهذه الجهود إلى تحقيق الألفة التي نَشدها ،
وبهذا يتواصل المؤمنون ومثل هذا فليعمل العاملون .

وقبل أن أتحدث عن أصول الشيعة أحب أن يعلم القارئ
أنى لم أرجع في ذلك إلا لمؤلفات المعاصرين منهم كالعلامة
الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي والعلامة السيد
محسن الأمين الحسيني العاملي . وذلك أخذاً للشيء من مصدره
وللعلم من معدنه ليكون أقوى في البرهان وأسطع في البيان .
وأنا أعتد أيضاً أنه قد وجد في الشيعة مَنْ غلوا في بعض
الآراء ، ولكن لكل قاعدة شواذ وفي كل جماعة أفراد متطرفون .
وقد وجد في أهل السنة من ألفوا كتباً خرجوا بها عن منصوص

قاعدتهم ، وليسوا حجة على أهل السنة ولا برهاناً لخصومها . فلذى
نقدمه إليك أيها القارىء هو مجموعة من النصوص التى تعرفنا
بحقيقة واضحة ، وتضع أصول النفاهم على أساس ثابت متين .

معنى لفظ الشيعة

الشيعة فى القاموس : شيعة الرجل بالكسر أنبأه وأنصاره
والفرقة على حدة . ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر
والمؤنث . وقد غاب هذا الاسم على من يتولى علمياً وأهل بيته ،
حتى صار اسماً لهم خاصاً . والجمع أشياع وشيع كعنب اه .

قال الشيخ أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى ، من أهل
القرن الرابع ، فى كتاب الفرق والمقالات (المطبوع فى استانبول)
ما لفظه : جميع أصول الفرق أربع فرق : الشيعة والمعتزلة
والمرجئة والخواارج . فالشيعة هم فرقة على بن أبى طالب
المسمون بشيعة على فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وما بعده
[معروفون بانتطعهم إليه والتول بامامته] . منهم المقداد بن
الأسود وسلمان الفارسى وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى وعمار

ابن ياسر ومن وافق مودته مودة علي . وهم أول من سمي باسم
التشيع من هذه الأمة لأن اسم التشيع قديما لشيعه إبراهيم وموسى
وعيسى والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين اه .

ثم بعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه في وجه علي بن
أبي طالب وإظهاره الطاب بدم عثمان واستمالته عددا عظيما من
المسلمين إلى ذلك ، صار أتباعه يعرفون بالعثمانية وهم من يوالون
عثمان ويبرؤون من علي . أما من يوالونها فلا يطاق عليهم
اسم العثمانية . وصار أتباع علي يعرفون بالمعاوية مع بقاء اطلاق
اسم الشيعة عليهم . واستمر ذلك مدة ملك بني أمية . وفي دولة
بني العباس نسخ اسم العلوية والعثمانية وصار في المسلمين اسم الشيعة
وأهل السنة إلى يومنا هذا . ولم يبق في فرق المسلمين من يبرأ
من علي سوى الخوارج الذين يبرؤون منه ومن عثمان معا . (عن
أعيان الشيعة)

وقال العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطا في كتابه
(أصل الشيعة وأصولها . صفحة ٧٧) إن أول من وضع بذرة
التشيع في حقل الإسلام - هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية -

يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام — جنباً إلى جنب ،
وسواء بسواء . ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت
وأزهرت في حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته ، وشاهدنى على ذلك
نفس أحاديثه الشريفة — لامن طرق الشيعة ورواة الامامية بل
من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم ، ومن طرقهم الوثيقة التي
لا يظن ذومسكة فيها الكذب والوضع ، فمنها ما رواه السيوطى
(فى كتاب الدر المنثور فى تفسير كتاب الله بالمأثور) فى تفسير
قوله تعالى « أولئك هم خير البرية » قل : أخرج ابن عساكر
عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فأقبل علىّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده إن
هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت « إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » وأخرج ابن مردويه عن علىّ
قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تسمع قول الله « إن الذين
آمنوا . الخ » هم أنت وشيعتك وموعدى وموعدىكم الخوض إذا جاءت
الأمم للحساب تدعون غراً محجابين اه . وروى بعض هذه الأحاديث

ابن حجر في (صواعقه) عن الدارقطني ، وحدث أيضا عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي أنت وأصحابك في الجنة ، أنت وشيعتك في الجنة . وفي (نهاية ابن الأثير) مانصه في (قمح) : وفي حديث علي قال له النبي صلى الله عليه وسلم مستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا متمجين ، ثم جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الإقحاح اه . والزنجشري في (ربيع الأبرار) يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجرة الله تعالى وأخذت أنت بحجرتي وأخذ ولدك بحجرتك وأخذ شيعة ولدك بحجزهم فترى أين يؤمر بنا . ولو أراد المتتبع كتب الحديث مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل وخصائص النسائي وأمثالهما أن يجمع أضعاف هذا القدر لكان سهلا عليه . قال كاشف الغطا ولو كان مراد صاحب الشريعة من شيعة علي - من يحبه أولا يبغضه بحيث ينطبق على أكثر المسلمين ، كما تخيله بعض القاصرين ، لم يستقم التعبير باللفظ (شيعة) فان صرف محبة

شخص لآخر أو عدم بغضه لا يكفي في كونه شيعة له بل لابد
هناك من خصوصية زائدة وهي الاقتداء والمتابعة له بل ومع
الالتزام بالمتابعة أيضا ، وهذا يعرفه كل من له أدنى ذوق في
مجارى استعمال الألفاظ العربية . وإذا استعمل في غيره فهو مجاز
مدلول عليه بقرينة حال أو مقال ، والقصارى إنى لا أحسب
أن المنصف يستطيع أن ينكر ظهور تلك الأحاديث وأمثالها في
إرادة جماعة خاصة من المسلمين ولهم نسبة خاصة بعلیؑ يمتازون
بها عن سائر المسلمين الذين لم يكن فيهم ذلك اليوم من
لا يحب عليا فضلا عن وجود من يبغضه . ثم إن صاحب
الشريعة لم يزل يتعاهد تلك البذرة ويسقيها بالماء النير العذب من
كلماته وإشاراته في أحاديث مشهورة عند أئمة الحديث من علماء
السنة ، فضلا عن الشيعة ، وأكثرها مروى في الصحيحين مثل
قوله صلى الله عليه وسلم عليٌّ منى بمنزلة هارون من موسى ،
ومثل لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، وحديث الطائر ،
اللهم إئتني بأحب خلقك إليك ، ومثل لأعطين الراية غدا رجلا

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ومثل إني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وعلى مع الحق والحق
مع عليٍّ . إلى كثير من أمثالها مما لسنا في صدد إحصائه
وإثبات أسانيده .

ثم لما ارتحل الرسول من هذه الدار إلى دار القرار ، ورأى
جمع من الصحابة أن لا تكون الخلافة لـ عليٍّ إما لصغر سنه أولأن
تقرىشا كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة لـ بنى هاشم زعماء منهم
أن النبوة والخلافة إليهم يضعونهما حيث شاءوا ، أولأهمور أخرى ،
لسنا بصدد البحث عنها ، ولكنه باتفاق الفريقين امتنع أولأ
عن البيعة — بل في صحيح البخارى في باب غزوة خيبر أنه
لم يبايع إلا بعد ستة أشهر ، وتبعه على ذلك جماعة من عيون
الصحابة كالزبير وعمار والمتداد وآخرين . ثم لما رأى أن تخلفه
يوجب فتقا في الاسلام لا يرتق وكسرا لا يجبر ، وكل أحد يعلم
أن عليا ما كان يطلب الخلافة رغبة في الإمرة ، ولا حرصا على
الملك والغلبة والإثرة ، وحديثه مع ابن عباس بنى قار مشهور ،

وإنما يريد تقوية الإسلام وتوسيع نطاقه ، ومدد رواقه ، وإقامة الحق .
وإماتة الباطل ، وحين رأى المتخالفين أعنى الخليفة الأول والثاني -
بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح
ولم يستأثروا ولم يستبدوا - بايع وسالم ، وأغضى عما يراه حقاله
محافظة على الاسلام أن تصدع وحدته ، وتتفرق كلمته ويعود
الناس إلى جاهليتهم الأولى ، وبقي شيعة منضوين تحت جناحه
ومستنيرين بمصباحه . ولم يكن للشيعه والتشييع يومئذ مجال
للظهور لأن الإسلام كان يجرى على مناهجه القويمة ، حتى إذا
تميز الحق من الباطل ، وتبين الرشد من الغي ، وامتنع معاوية
عن البيعة لعليٍّ وحاربه في صفين وانضم بقية الصحابة إلى علي
حتى قتل أكثرهم تحت رايته . وكان معه من عطاء أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا كلهم بدرى عتبي كعمار
بن ياسر وخزيمة ذى الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري ونظرائهم
الخ الخ .

فرق الشيعة

الشيعة الامامية فرق ، منهم الاثنا عشرية ، والسكيسانية (وقد انقرضت) والزيدية والإسماعيلية ، والقطعية (وقد انقرضت) والواقفة (وقد انقرضت أيضا) والناوسية (وقد انقرضت) . ولكن الاثنى عشرية هم الأكثر عددا . وكل الفرق الموجودة تقيم شعائر الاسلام ولا تخالف في شيء من ضروريات الدين الاسلامي . أما الرافضة فهذا اللقب يراد به التشفي والانتقام يطلونه أهل السنة على الشيعة وبالعكس . ويعنى به كل فريق أن الآخر رفض الحق وأباه .

وأحسن ما نتمل في هذا الباب عن الامام الشافعي رضى الله عنه حيث يقول :

ان كان رفضا حب آل محمد فلا يشهد الثقلان أنى رافضى ويوجد في كتب الملل والنحل من تأليف غير الشيعة وفيما ذكره المقرئ في خطه عند ذكر الفرق واختلاف عقائدها أسماء لمسميات أدرجوها في فرق الشيعة لم نسمع بها من غيرهم .

وبالفوا في تكثير فرقها حتى قل بعضهم إن الثلاثة والسبعين
فرقة أكثرها من الشيعة . وكأنهم لما نقص عليهم العدد اضطروا
إلى اختراع فرق لا وجود لها ووضعوا لها أسماء من عندهم
كالمقریزی الذي زعم أن فرقها بلغت الثمانمائة ولم يستطع أن
يعد منها غير عشرين فرقة ، زعم أنها المشهور . على أن جملة
من هذه العشرين مختلف مخرج .

انتشار الشيعة :

ظهر التشيع لعلي بن أبي طالب عند حدوث الاختلاف
في أمر الخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الأنصار
للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم المهاجرون بأنهم
عشيرته وقومه . وقال علي لما بلغه ذلك مامعناه : إن يكن ما قاله
المهاجرون حقا فالحجة لنا دونهم وإلا فالأنصار على حجتهم . وتشيع
يومئذ لعلي جميع بني هاشم وبني المطلب وانضم اليهم الزبير بن
العوام وثلاثة عشر رجلا أو اثنا عشر من المهاجرين والأنصار
فأرادوا عاليا للخلافة .

وكان من بنى أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد
ابن العاص . وكان عمر بن عبد العزيز من بين ملوك بنى أمية ،
سوى ما يحكى عن معاوية الأصغر ، متظاهرا بالميل إلى العلويين
فرفع السب عن أمير المؤمنين وردّ فداً إلى أولاد فاطمة .
وقال الشريف الرضى حين مر بقبره في دير سيمان :
يا بن عبد العزيز لو بكت العـين فتي من أمية لمكيتك
أنت نزهتنا عن السب والشم فلو أمكن الجزاء جزيتك .
وما زال عدد الشيعة يزداد حيناً فحيناً إلى أواخر الدولة
الأموية فظهرت شيعة بنى هاشم من العلويين والعباسيين .
وفي دولة العباسيين كثرت شيعة العلويين كثرة مفرطة في
الحجاز واليمن والعراق سيما الكوفة والبصرة وفي مصر وخراسان
وسائر بلاد إيران لا سيما قم وغير ذلك من البلدان وأكثرهم
في الكوفة وخراسان . وما زال التشيع يفشو ويقل ويظهر ويخفى
ويوجد ويعدم في بلاد الإسلام على التناوب وغيره بحسب

تعاقب الدول الغاشمة وغيرها وتشددتها وتساهاها حتى أصبح عدد الشيعة اليوم في أنحاء المعمور يناهز الخمسة والسبعين مليونا أى بأكثر من خمس المسلمين يثلاثة ملايين (أعتقد أن المسلمين الآن يزيد عددهم على خمسمائة مليون ولكن أعداء الاسلام يحاولون انقاص عددهم ولو كذبتهم سجلات التعداد) منها نحو اثنين وثلاثين مليونا في الهند ونحو خمسة عشر مليونا في مملكة إيران ونحو عشرة ملايين في روسيا وتركستان ونحو خمسة ملايين في اليمن ونحو مليونين في العراق ونحو مليون ونصف في بخارى والأفغان ونحو مليون في سوريا ومصر والحجاز ونحو سبعة ملايين في الصين والتبت والصومال وجاروا ونحو مليون في الألبان وتركيا . ومرادنا بشيعة الهند وسوريا خصوص الامامية غير الاسماعيلية الأغاخانية ، وبشيعة اليمن مايعم الزيدية والامامية الاثنا عشرية ، وبشيعة الألبان غير البكتاشية . وكان بعض أفاضل جبل عامل عددهم في مجلة المقتبس تسعين مليونا مريدا بهم مايعم الاثنى عشرية والزيدية والاسماعيلية والبكتاشية وغيرهم . (أعيان الشيعة)

خلاصة عقيدة الشيعة الاثني عشرية : الشيعة الامامية

الاثنا عشرية يشهدون أن لا إله إلا الله وأنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد وأنه متصف بجميع صفات الكمال منزّه عن جميع صفات النقص وأنه ليس كمثل شيء وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين ، ويوجبون معرفة ذلك بالدليل والبرهان ولا يكتفون بالتقليد ، ويؤمنون بجميع أنبياء الله ورسوله وبجميع ما جاء به من عند ربه ويقولون إن عالياً وولده الأحد عشر أحق بالخلافة من كل أحد وانهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين . فان كانوا مصيبين فذلك ، وإلا لم يوجب قولهم هذا كفراً ولا فسقاً لاسيما أن إمامة شخص بعينه ليست من أصول الإسلام بالاتفاق من الشيعة وغيرهم . أما غيرهم فواضح لأنهم لا يوجبون إمامة شخص بعينه وإنما يوجبون أصل الامامة ويحصرونها في قريش . وأما الشيعة فإنهم وإن أوجبوا إمامة الأئمة الاثني عشر ، لكن منكر أئمتهم عندهم

ليس بخارج عن الاسلام وتجرى عليه جميع أحكامه . ويقولون
بوجوب أخذ أحكام الدين من كتاب الله بعد معرفة ناسخه من
منسوخه وعامه من خاصه ومطابقه من مقيدته ومحكمه من متشابهه ،
وما ثبت من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالتواتر أو رواية الثقات ،
ومذاهب الأئمة الاثني عشر ، أو أقوال المجتهدين الثقات الأحياء وهذا
على فرض خطئهم فيه لا يوجب الخروج عن الاسلام . ويقولون
بعصمة الأئمة الاثني عشر وبحياة المهدي وأنه موجود بين الخلق
كحياة الخضر وإريس وعيسى عليه السلام وإبليس والدجال .
وسواء أخطأوا في ذلك أو أصابوا فهو لا يوجب كفرا ولا خروجا
عن الاسلام . ويقولون إن كل من شك في وجود الباري تعالى
أو وحدانيته أو في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أو جعل له
شريكا في النبوة فهو خارج عن دين الاسلام ، وكل من غالى
في أحد في الناس من أهل البيت أو غيرهم وأخرجه عن درجة
العبودية لله تعالى أو أثبت له نبوة أو مشاركة فيها أو شيئا
من صفات الإلهية فهو خارج عن رتبة الاسلام . ويبرهنون من
جميع الغلاة والمفوضة وأمثالهم .

وعمدة ما ينقمة غير الشيعة عليهم دعوى القدح في السلف أو أحد
ممن يطلق عليه اسم الصحابي . والشيعة يقولون إن احترام أصحاب
نبينا صلى الله عليه وسلم من احترام نبينا ، فنحن نحترمهم جميعا
لا احترامه ، وذلك لا يمنعنا من القول بتفاوت درجاتهم وأن عليا أحق
بالخلافة من جميعهم . وأنتم تقولون إن بعضهم وإن شهر السيف في
وجه البعض وقتل بعضهم بعضا وسب بعضهم بعضا وبغى بعضهم على
بعض فكأنهم مجتهدون معذورون والقاتل والمقتول والظالم والمظلوم
والباغى والمبغى عليه كلهم في الجنة ، والمصيب منهم أجران
والمخطئ أجر واحد . ونحن نقول أمرهم إلى ربهم العالم بسرهم
وجهرهم وعلمنا أن نحترمهم احتراما لنبينا صلى الله عليه وسلم .
وليسعنا من العذر في قولنا بتفاوت درجاتهم وتقديمنا عليا عليهم
في استحقاق الخلافة ماوسعهم من العذر في شهر بعضهم السيف في
وجوه بعض وقتل بعضهم بعضا وسب بعضهم بعضا وبغى بعضهم
على بعض . وإذا ساغ لهم الاجتهاد في ذلك ساغ لنا . فأحكام
الله في الناس واحدة وشرائعه عادلة ورحمته واسعة تسع الجميع

ولانسع قوما وتضيق عن آخرين فان أصبنا فيما قلناه فلنا أجران
وإن أخطأنا فلنا أجر واحد ، والخطيء والمصيب منا ومنكم
في الجنة . ولايسوغ في قانون العدل وأحكام العقل أن يفتح الله
باب الاجتهاد للساف على مصراعيه يستحاون به سفك الدماء
وقتل النفوس ونهب الأموال ويكونون بذلك مأجورين ويفلقه
في وجوه غيرهم فلا يفتح لهم منه ولو مثل سم الخياط . ان هذا
مناف لعدله وشمول فضله وأنه ليس لأحد عنده هوادة . فبان
أنه لا مساغ لتضليل الشيعة وإخراجهم عن ربة الاسلام من هذه الجهة
وهي أهم مافي الباب إذا تمسكنا بذييل التقليد والآباء والأجداد
وعرفنا الأقوال بالرجال ، وهذا مما نهانا عنه الله ورسوله وعقولنا .
وتعتقد الشيعة بالبعث والحساب والجنة والنار والصراط
والميزان وكل ما أخبر به الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم . أما
فروع الدين وواجباته ومحرماته التي هي من الضروريات فكلنا
فيها شرع سواء وكلنا نؤمن بكتاب واحد لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ونصلي مستقبين

الكعبة ونقول بوجوب خمس صلوات بأعداد ركعاتها الظهر ،
وتقوم مقامها الجمعة إذا صليت صحيحة جامعة للشرائط ، والعصر
والمغرب والعشاء والصبح ، وبوجوب الوضوء لها والغسل من
الجنابة والحيض ويقوم مقامهما التيمم عند عدم وجدان الماء ،
وبوجوب الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا ،
وبوجوب الزكاة بشروطها المقررة ، وبوجوب صوم شهر
رمضان ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ،
إلى غير ذلك من الواجبات والمحرمات الثابتة بضرورة الدين .
وتقول الشيعة بوجوب الزكاة في الأنعام الثلاث الإبل والبقر
والغنم وفي المتدين الذهب والفضة وفي الغلات الأربع الحنطة
والشعير والتمر والزبيب كل ذلك بشروطها المذكورة في محلها ،
وبوجوب الجهاد لحفظ بيضة الإسلام ، وبوجوب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، والبر بالوالدين وصلة الأرحام وأداء الأمانة ،
وبحرمة الزنا واللواط وشرب الخمر والغيبة والنميمة وقذف المحصنات
ونكاح المحارم وتزوج ما زاد عن أربع نسوة وشهادة الزور وأكل

(١٣)

المال بالباطل وإيذاء الناس وتعطيل الحدود وأكل الميثة والدم
وحلم الخنزير وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وأكل مال اليتيم
والغش والخيانة والكذب والظلم وأخذ الربا والتقول على الله بغير
علم والتنازع بالألقاب وغير ذلك من الواجبات والمحرمات التي
تثبت في دين الإسلام . فماذا تضللوننا أيها الاخوان وتعادوننا
وتنابدوننا وتنازروننا بالألقاب . ألم تسمعوا قوله صلى الله عليه
وسلم : من كفر مسلماً فقد باء به أحدهما .

فهل أنكرنا الخالق أو جعلنا له شريكاً أو عبدنا غير الله
أو وصفنا بغير ما يجب أن يوصف به أو أنكرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم أو عصمته أو أنكرنا شيئاً من ضروريات الدين
الثابتة عند جميع المسلمين . أليس إلهنا وإلهكم واحد وكتابنا
واحد وقبائنا واحدة وصلاتنا وحجنا إلى كعبة واحدة وصومنا في
شهر واحد وصلاتنا واحدة وواجباتنا واحدة ومحرماتنا واحدة .
وإذا جاز لكم أن تجتهدوا في صحة المسح على الخفين ، وهو غير
مذكور في القرآن ، جاز لنا أن نجتهد في صحة المسح على الرجلين

مع اعتقادنا أنه مذكور في القرآن . فهل تعبدون الله ونحن
نعبد الأصنام وهل نبيكم محمد ونبينا شعيب ، وكتابكم القرآن
وكتابنا التوراة ، وصلواتكم خمس وصلواتنا ست ، وقبلتكم الكعبة
وقبلتنا بيت المقدس ، وحجكم إلى مكة وحجنا إلى عكا ، وصلاة
الظهر والصر والعشاء عندهم أربع ركعات وعندهنا خمس أو
ثلاث ، وصلاة المغرب عندهم ثلاث وعندها أربع أو اثنتان ،
وصلاة الصبح عندهم اثنتان وعندها واحدة أو ثلاث ، وهل
صومكم في شهر رمضان وصومنا في شعبان . كلا والله لسنا
كذلك ولاكننا داخلون في قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة »
وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن أخو المؤمن . المؤمن المؤمن
كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » . نسأله تعالى أن يلهم
المسلمين ما فيه الائتلاف والاتحاد لا سيما في هذه الأعصار العصبية
عليهم وهو ولي التوفيق . (أعيان الشيعة ج ١ ص ٩١ — ٩٥)
وفي البخارى عن أبي ذر رضى الله عنه قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته

وقد استيقظ ، فقال ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات
على ذلك إلا دخل الجنة . قلت وإن زنى وإن سرق ، قال
وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى
وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن
سرق على رغم أنف أبي ذر .

اتفق المسلمون قديما وحديثا على عدم جواز تكفير أحد من
أهل الشهادتين وتضافرت على ذلك أقوال الأئمة والعلماء جيلا
بعد جيل ، فتد ذكر الشعراني في اليواقيت والجواهر في المبحث
٥٨ أقوالا كثيرة مخصصة أن القول بالتكفير أمر شنيع لا يليق
إلا بمن اتخذ غير الاسلام ديناً . وقد نقل عن شيخ الاسلام تقي
الدين السبكي أن الإقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وإن
كل من خاف الله استعظم القول لمن يقول لا إله إلا الله محمد
رسول الله . ثم أورد الشعراني جواب السبكي بكلام طويل جاء في
آخره : فما بقي الحكم بالتفكير إلا لمن اختار الكفر ديناً
وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة .

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته
إياكم ومعاذة أهل لا إله إلا الله ، فان لهم الولاية العامة ،
فهم أولياء الله ، ولو أخطأوا وجاءوا بقرب الأرض من الخطايا
وهم لا يشركون بالله شيئا ، فان الله يتنقى جميعهم بمثلها مغفرة ،
ومن ثبتت ولايته حرمت محاربتة — وأطال إلى أن قال :
وإذا عمل أحدكم عملا توعده الله عليه بالنار ، فليصححه بالتوحيد ،
فان التوحيد يأخذ بناصية صاحبه ، لا بد من ذلك . وهذا
مأخوذ من حديث أخرجه الترمذى وصححه ورواه بالاسناد
إلى أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
قال الله تعالى : يا بن آدم ، إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك ،
على ما كان منك . ولا أبالى ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان
السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقراب
الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا ، لأتيتك بقرابها
مغفرة . وهذا الحديث ذكره الفاضل النووى في أربعينته .

وقال الفاضل السيد رشيد رضا في صفحة ٤٤ من المجلد

السابع عشر من مناره : إن من أعظم ما بايت به الفرق الإسلامية رمى بعضهم بعضا بالفسق والكفر مع أن قصد كل الوصول إلى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة إليه ، فالجهد وإن أخطأ معذور — وقد أطال الكلام في هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع .

وقال المعاصر النبهاني البيروتي في أوائل كتابه شواهد الحق :
اعلم أني لا أعتقد ولا أقول بتفكير أحد من أهل القبلة ،
لا الوهابية ولا غيرهم ، وكلامهم مسلمون ، تجمعهم مع سائر
المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وما جاء به من دين الإسلام إلى آخر كلامه . وعقد العارف
الشعراني ، في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر ، مبحثا مسهبا
لثبوت الإيمان لكل موحد يصل إلى القبلة ، وهو المبحث ٥٨
قال في آخره فقد علمت يا أخى مما قررناه لك في هذا
المبحث ، أن جميع العلماء المتدينين ، أمسكوا عن القول بالتفكير
لأحد من أهل القبلة اه .

ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدم ذكره
عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة ، إنهم
كانوا يقولون ، لا يكفر أحد من المذاهب الإسلامية ، لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا
وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا اه .

قال ابن تيمية في أوائل رسالة الاستغاثة وهي رسالة ١٢
من مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٧٠ ما هذا لفظه : ثم
اتفق أهل السنة والجماعة على أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في
أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد اه .
وكان أحمد بن زاهر السرخسي ، وهو أجل أصحاب
الإمام أبي الحسن الأشعري ، يقول ، (فيما نقله الشعراني عنه .
في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته) لما حضرت الشيخ أبا الحسن
الأشعري الوفاة بداري في بغداد ، أمرني بجمع أصحابه ، فجمعتهم
له ، فقال : اشهدوا على أنني لا أكفر أحدا من أهل القبلة
بذنوب ، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد ، والاسلام
يشملهم ويجمعهم .

وقال شيخ الاسلام الحزومي : (فيما نقله الشيرازي عنه
في المبحث ٥٨ من يواقيته) قد نص الامام الشافعي على عدم
تكفير أهل الأهواء في رسالته ، فقال لا أكفر أهل الأهواء
بذنب . وأجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج .

وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة
الموسومة برد المختار ، ما هذا لفظه : وذكر في فتح القدير ،
أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ، ويكفرون
الصحابة ، حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة
قال وهذا يقتضى نقل إجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج) اهـ .
وقد ألف العلامة الكبير الملا علي القاري الحنفي رسالة في
الرد على من يكفر التوأوين بذلك كما نص عليه ابن عابدين .

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من
فصله ما هذا لفظه : وأما من سب أحدا من الصحابة رضي
الله عنهم ، فإن كان جاهلا معذورا ، وإن قامت عليه الحجة
فمأدى غير معاند ، فهو فاسق كمن زنى أو سرق ، وإن عاند الله

تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر - قال وقد
قال عمر رضى الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم عن
حاطب ، وحاطب مهاجرى بدرى ، دعنى أضرب عنق هذا
المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا ، بل كان مخطئا
متأولا اه .

وفي الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، نقلا
عن القاضى إسماعيل وغير واحد من الأئمة ، أن رجلا سب
أبا بكر بمحضر منه رضى الله عنه فقال له أبو برزة الأسلمى ،
يا خليفة رسول الله ، دعنى أضرب عنقه ، فقال اجلس ، ليس
ذلك لأحد ، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك الباب
من الشفاء أيضا ، أن عامل عمر بن عبد العزيز بالكوفة ،
استشاره في قتل رجل سب عمر رضى الله عنه فكتب إليه
لا يحل قتل امرئ مسلم ، بسب أحد من الناس ، إلا رجلا
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه اه .
(وإذا أردت المزيد فطالع » الفصول المهمة في تأليف
« الأئمة »)

مما سبق يتبين لك أن تكفير المساميين الموحدين خطر
شنيع وبهتان عظيم . وقد وقع هذا التكفير بدافع الحقد الدفين
أو الحسد الدني والتكالب على مناصب الدنيا وحطامها والتقليد
الطائش .

وقد أبنا في هذا البحث الجمل بعض ما يتعلق بالشيعة
وأصولها . ولهم بعد ذلك مذهبهم الخاص في الفروع الفقهية ، ولا
يزال عندهم باب الاجتهاد مفتوحا . والذي نرجوه بعد هذا أن
يعتبر المسامون بما سببته اختلافاتهم من الحوادث وأن يعملوا
على جمع كلمتهم وتوحيد نهضتهم وأن يتبادلوا بينهم العلوم ووسائل
التجارة والصناعة حتى يرجع إليهم عزهم الأول ويفوزوا بنصرهم
القريب وما ذلك على الله بعزيز .

استدراك

نبهنا حضرة الاستاذ الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام إلى أنه ورد في الكتاب بعض كلمات إيرانية محرفة، فأردنا أن ننبه إليها هنا لـكمال الفائدة .

ص		
٣	الزاردشت	زاردشت
١١	تاهماسب	طاهماسب
١١	دجبان	دامغان
١١	حيرات	هرات
١٧	غازني	غزني
٢٠	بندر أبي شهر	بوشير
٢٢	كمال الدين	جمال الدين (الأفغاني)
٢٧	سلطان محمد شاه	سلطان احمد شاه
٣١	اراميا	ارميه
٣٧	كيتشيك	كوجك
٦٤	ازربيجان	آذربيجان
٦٦	كيريل	قزل
٥٧	جارمسير	كرمسير
٩١	عبدان	عبادان

الأهواز	الأحواص	۱۹
رامهورمز	رامهورمس	۱۰۱
فروغی	فوروجی	۱۰۳
البرز	البروس	۱۲۹
کاشان	کاشجان	۱۳۱
القاجار	الکاشغار	۱۳۴
القران والتومان	الکران والتمان	۱۴۹

أخطاء مطبعية

ص	خطأ	صواب
٢	وكان آخر ملوك	وكان من أواخر ملوك
١٤	ثم أعقبه الشاه محمد	وكان هذا الشاه محمد
٥٠	وتسائلا	وتسألا
٦٨	فتزكى	فتذكى
٦٩	استبقائه	استبقاؤه
٧٩	كثيرون	كثيرون
٨٧	أعلا قلادة	أعلى قلادة
٨٨	منشؤه	منشئه
٩٣	اخفاق الحملة	في اخفاق الحملة
١٠٦	اللثان	اللثين
١٠٧	في إيران البلاد	في بلاد إيران
١٧٣	إن كل مسلم	إن السكل مسلم

طبع في مطبعة حجازى بالقاهرة
والصور والغلاف طبعت في مطبعة وديع أبو فاضل بمصر

